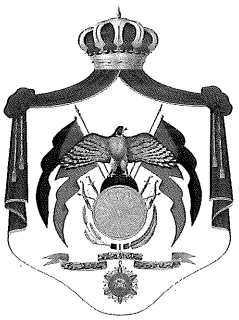

المملكة الاردنية الهاشمية

دراسات في تاريخ وآثار الأردن

المجلد التاسع

دائرة الآثار العامة – عمّان

دراسات في تاريخ وآثار الأردن

تصدر عن دائرة الآثار العامة، ص.ب. ٨٨، عمان ١١١١١ - المملكة الأردنية الهاشمية

رئيس التحرير
الدكتور فواز الخريشة

هيئة التحرير
الدكتور رافع حراحشة
السيدة قمر فاخوري
السيدة هنادي الطاهر
السيدة سامية الخوري

رقم الايداع في المكتبة الوطنية: (١١١٩/٥/٢٠٠٤)

الطبعة الأولى ٢٠٠٧
مطبوعات دائرة الآثار العامة، عمان - الأردن

تصميم
ماجدة ابراهيم

طباعة: المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي)

مؤتمرات «دراسات في تاريخ وآثار الأردن»

المؤتمر	العنوان	المكان	الفترة
المؤتمر الأول	دراسات في تاريخ الأردن واثاره منذ أقدم العصور وحتى العهد العثماني	جامعة أكسفورد / بريطانيا	٢٥-١٩٨٠/٣/٣١
المؤتمر الثاني	جغرافية البيئة الأردنية وتاريخها منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا	فندق عمره / عمان	٤-١٩٨٣/٤/١٦
المؤتمر الثالث	صلات الأردن التجارية وعلاقاته الخارجية إلى نهاية العهد العثماني	جامعة توينجن / المانيا	٦-١٩٨٦/٤/١٢
المؤتمر الرابع	المواقع الأثرية وأنماط الاستقرار فيها عبر العصور التي مر بها الأردن	جامعة ليون / فرنسا	٣٠/٥ - ١٩٨٩/٦/٤
المؤتمر الخامس	الفن والتقنية في الأردن عبر العصور	جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية / اربد	١٢-١٩٩٢/٤/١٧
المؤتمر السادس	مصادر البيئة الطبيعية والاستيطان الانساني في الأردن عبر العصور	مركز الأبحاث والدراسات الأثرية جامعة تورينو / ايطاليا	٥-١٩٩٥/٦/١٠
المؤتمر السابع	الحقب الألفية التي مر بها الأردن من أقدم العصور وحتى نهاية الحقبة العثمانية	جامعة كوبنهاجن / الدنمارك	١٢-١٩٩٨/٦/١٩
المؤتمر الثامن	الحضارة والهوية في الأردن عبر العصور	جامعة سدني/ استراليا	٧-٢٠٠١/٧/١٥
المؤتمر التاسع	التفاعلات الحضارية عبرالعصور	جامعة الحسين بن طلال / البتراء - الأردن	٢٣-٢٠٠٤/٥/٢٧
المؤتمر العاشر	الأردن عبر العصور	جامعة جورج واشنطن/ الولايات المتحدة الأمريكية	٢٣-٢٠٠٧/٥/٢٨

الأهمية التجارية لبادية شمال شرق الأردن في العصر الروماني

يونس شديفات ٧

أفامية مدينة الخمسة عشر قرنا

جرش الأخت التوأم

محمود حريتاني ١٧

إستراتيجية المكان والزمان في قصير عمرة

إحسان عرسان الرباعي ٢٣

الاستيطان الروماني المتأخر في منطقة رأس النقب جنوبي محافظة معان في ضوء الإكتشافات الأخيرة

أحمد جمعة الشامي ٣٣

العمونيون: استغلال الأراضي في العصر الحديدي الثاني

جهاد اسماعيل هارون ٥٧

يونس الشديفات
جامعة مؤتة

يونس الشديفات

الأهمية التجارية لبادية شمال شرق الأردن في العصر الروماني

يقع الأردن في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية بين خطي عرض ٢٩،٣٠° و ٣٢،٣١° شمالاً (Baly 1985: 22) (**الشكل ١**). وهذا الموقع المهم ما بين الجزيرة العربية وسورية وموانئ البحر المتوسط، أتاح له دور مهم في حركة النقل والتجارة.

تعد منطقة بادية شمال شرق الأردن ذات موقع إستراتيجي إذ كانت وعلى مدى حقبها التاريخية وما تزال موئلاً للقبائل العربية، ومعبراً لهجرتها إلى سوريا وبلاد الرافدين، كما عبر منها العديد من الطرق التجارية، لاسيما الطريق الواصل ما بين الجزيرة العربية وسوريا.

تقسم منطقة البادية الأردنية والهضاب الشرقية حسب تكوينها الجيولوجي إلى

أ. البادية والهضاب البازلتية الشمالية الشرقية وتتكون من

١. الهضبة البازلتية الشمالية الشرقية (الحرّة) والحرّة هي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والحرار في بلاد العرب كثيرة، أكثرها حول المدينة المنورة والشام، ومن هذه الحرار حرّة راجل في بلاد عبس بين السر ومشارف حوران (الحموي ١٩٧٩: ٢٤٥-٢٤٦) وحرة راجل هذه التي يذكرها ياقوت تقع في الجزء الشمالي الشرقي

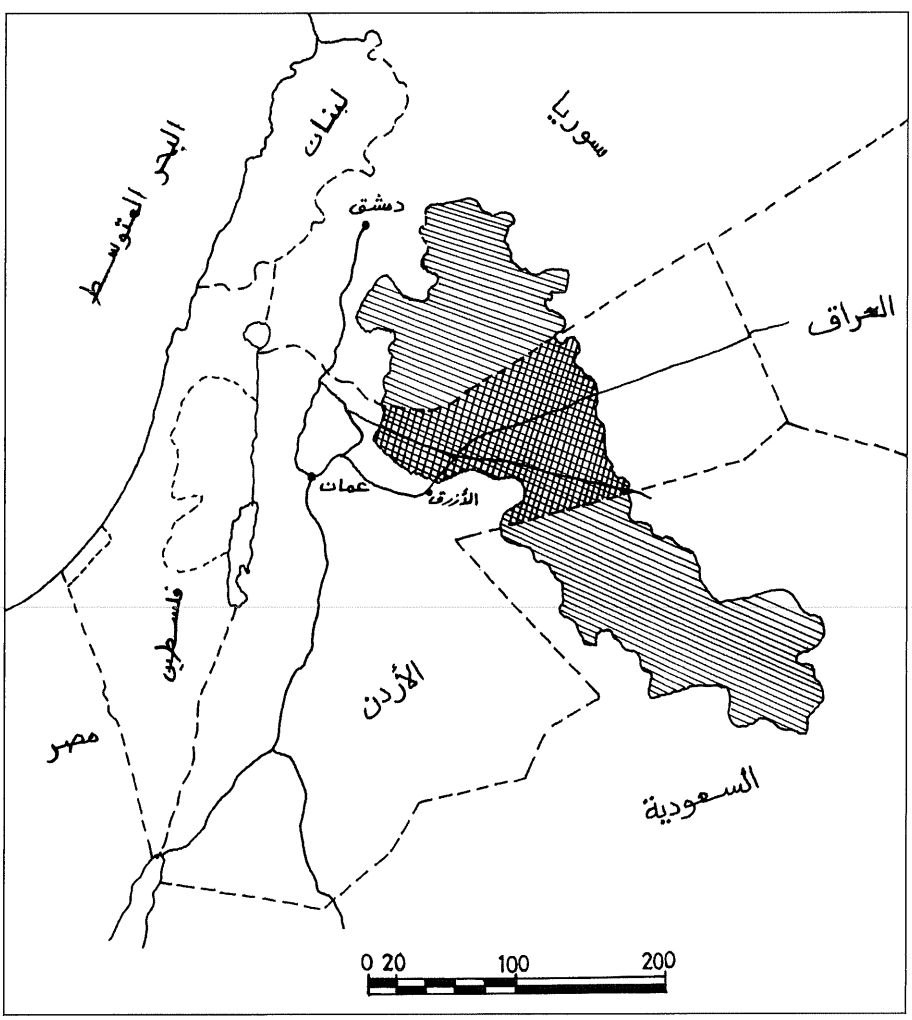

١. بادية شمال شرق الأردن.

من الهضبة البازلتية الشمالية الشرقية، ويبلغ أقصى ارتفاع لها حوالي ١٢٠٠م فوق سطح البحر في شمال الأردن.

٢. البادية الشمالية الشرقية: وتغطيها طبقة من الصخور الجيرية والصوانية تعود للزمن الجيولوجي الرابع، وترتفع ما بين ٦٢٥ – ٨٠٠م فوق سطح البحر (Bender 1974: 8).

ب. هضبة البادية الوسطى (أرض الحماد): وتقع بين منطقتي الأزرق ووادي السرحان شمالاً وحتى رأس النقب جنوباً، وتغطيها طبقة من الحجارة الصوانية مما أعطاها اسم أرض الحماد (Bender 1974: 8).

ج. حسمى: وتشمل منحدرات رأس النقب وجبل رم، وهي منطقة صحراوية تتخللها مجموعة من المرتفعات ذات الصخور الرملية أعلاها جبل رم الذي يرتفع حوالي ١٧٥٠م فوق سطح البحر (Bender 1974: 9).

ما يهمنا من هذه التقسيمات الجغرافية هو منطقة الهضبة البازلتية الشمالية الشرقية (الحرّة)، والتي يعلو سطحها الصخور البركانية السوداء.

تتميز منطقة الدراسة جغرافياً بالارتفاع التدريجي الذي يبدأ من حوالي ٦٠٠م فوق سطح البحر في المفرق غرباً ويستمر حتى يصل إلى حوالي ١٢٥٠م فوق سطح البحر إلى الشمال الشرقي من دير الكهف قرب الحدود الأردنية السورية، حيث الامتداد الجنوبي لجبل حوران أو جبل العرب، والمعروف أيضاً باسم جبل الدروز والممتد شمالاً في سورية، ويصل ارتفاعه إلى أكثر من ١٦٠٠م فوق سطح البحر، وتبدأ المنطقة بالانخفاض تدريجياً إلى الشرق والجنوب.

يخترق المنطقة العديد من الأودية التي تسير في أغلبها من الشمال إلى الجنوب، ومن هذه الأودية وادي العاجب، وهو عبارة عن وادٍ سيلي تجري فيه المياه أثناء نزول الأمطار، ويعمل هذا الوادي على تصريف مياه الأمطار الساقطة على الواجهة الجنوبية الغربية من جبل العرب، يسير الوادي باتجاه شمال جنوب ثم باتجاه شرق غرب وبعدها باتجاه شمال شرق – جنوب غرب حتى بلدة صبحا، وبعدها يتخذ اتجاه شمال شرق – جنوب حتى يلتقي بوادي الضليل الذي يصب في نهر الزرقاء، أحد روافد نهر الأردن، ويلحظ أن للوادي التواءات كثيرة على امتداده بسبب التضاريس (العجلوني ١٩٧٤: ١٠)، وقد قامت على ضفاف هذا الوادي حضارات مهمة لاسيما في العصر البرونزي المتوسط (Betts *et al.* 1996: 27-40).

ومن الأودية المهمة الأخرى وادي راجل الذي يعمل على تصريف مياه الأمطار الساقطة على الواجهة الجنوبية الشرقية لجبل العرب، ويمر من مدينة جاوه ثم يسير باتجاه شرقي حتى يصل إلى مرب الشبيكة، ثم يتجه جنوباً حتى يصل إلى واحة الأزرق، وقد قامت على ضفاف هذا الوادي حضارات مهمة أيضاً أبرزها تعود للألف الرابع قبل الميلاد (Betts 1991). ومن الأودية الأخرى في المنطقة ووادي سلمى، ووادي الحشاد، ووادي الجثوم، بالإضافة إلى أودية الزعتري، واللّص، والدفيانة وغيرها. وجميع هذه الأودية شكلت مناطق زراعية صغيرة على حوافها نتيجة ترسبات التربة الخصبة التي تجرفها مياه الأمطار في جريانها.

إن أعمال المسح والتنقيب الآثاري والتي بدأت منذ مدة قريبة فقط، ومعظم معلوماتها غير منشورة حتى الآن لا تمكننا بشكل مفصل من التعرف على المراحل التاريخية التي مرت على المنطقة، والتي تسبق الاحتلال الروماني لها، فالوثائق التاريخية تكشف عن وجود استيطان مكثف شهدته المنطقة. ففي عام ٨٤١ ق.م وهي السنة الثامنة عشرة من حكم شلمنصر الثالث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م) عبر هذه الملك نهر الفرات لمحاربة حزائيل ملك دمشق الذي هرب وتحصن في مدينته وقام شلمنصر بمحاصرته فيها، ويشير إلى أنه توغل بعيداً حتى جبل حوران، ودمر أثناء ذلك العديد من القرى وحرقها وقطع محاصيلها (Luckenbill 1975: 243) وفي كتابات هذه الملك يذكر أسماء العديد من المواقع من ضمنها حوران (Luckenbill 1975: 294) كما تشير كتابة على تمثال لهذا الملك إلى وصوله إلى جبل حوران بعد حصاره لمدينة دمشق (Wilson 1962: 95).

من المعروف أن بلاد الشام خضعت للسيطرة الآشورية لكونها ذات أهمية كبرى لبلاد آشور ذاك أنها مصدر للحرفيين المهرة، ومصدر للأخشاب من جبال لبنان وهي طريق المواصلات بين بلاد آشور والبحر المتوسط (Saggs 1984: 81) ولذلك وجه تيجلاتبلسر الثالث (٧٤٤–٧٢٧ ق.م) حملة على بلاد الشام للقضاء على المشاكل الداخلية التي أثارتها دمشق بحلفها الجديد الذي كونته، وكان مسرح عمليات هذه الحملة الحربية الأجزاء الساحلية، وبلاد فلسطين، وشرقي الأردن، واتصل هذا الملك في أثناء حملاته على بلاد الشام ببعض القبائل العربية، وجاء في أخباره أن الملكة العربية شمسي أدت له الجزية، وقد فتح دمشق عنوة وأزال الدولة الآرامية فيها من الوجود في عام ٧٣٢ ق.م (باقر ١٩٧٣: ٥١٠) ويبدو أن منطقة البادية بقبائلها العربية إلى الشرق والجنوب من مقاطعات شرق الأردن عمون ومؤاب وأدوم التي كانت تحت السيطرة الآشورية هي ذات أهمية كبيرة لآشور لسببين الأول أن العرب يتحكمون بتجارة مهمة هي تجارة اللبان والبخور من جنوب الجزيرة العربية؛ والثاني أن هؤلاء العرب هم وحدهم الذين يتمكنون من عبور سيناء ما بين جنوب فلسطين ومصر بسلام، ولذلك كان الآشوريون على صلة بالقبائل العربية منذ حكم تيجلاتبلسر الثالث على الأقل، وقد واصل أسرحدون هذه السياسة بزيادة السيطرة الآشورية من خلال التدخل في منافسات قادة هذه القبائل (Saggs 1984: 107-108).

بعد عام ٧٣٢ ق.م أنشئت المقاطعات الآشورية في جنوب سوريا: حاورينا (Hawrina) للنصف الشرقي من حوران، وقرنيني (Qarnini) للنصف الغربي من حوران (Pitard 1987: 148, 189)، وهاتان المقاطعتان الآشوريتان هما من ضمن ثلاث عشرة مقاطعة أسسها تيجلاتبلسر الثالث في سوريا (Forrer 1920: 62-63).

لا توجد في الحقبة البابلية الحديثة (الكلدية) (٦٢٦–٥٥٦ ق.م)

إشارات مباشرة لمنطقة الدراسة أو منطقة حوران ضمن الوثائق الكتابية، علماً أن الكلديين قاموا بالعديد من الحملات الحربية على بلاد حتي (سوريا) وبلاد مصر، ومن ضمنها حملات على مناطق شرق الأردن عمون وموآب (محمد ١٩٨٣: ٧٥)، ومن المحتمل أن البابليين قد مروا في المنطقة في طريقهم إلى هذه المناطق إذ أن هناك إشارة في التوراة إلى اتخاذ ملك بابل طريقين أحدهما إلى القدس والآخر إلى عمون (عمان حالياً) (حزقيال ٢١ : ١٨-٢٤). وفي السنة السادسة من حكم نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) أي في عام ٥٩٩ ق.م توجهت قوات هذا الملك إلى بلاد حتي (سوريا) وأرسل بعض قواته لضرب القبائل العربية في البادية (Wiseman 1956: 71)، ومن المحتمل أيضاً أن نبوخذ نصر في حملاته هذه قد واجه القبائل العربية في منطقة ما من البادية السورية، ومن المحتمل أيضاً أن تكون منطقة بادية شمال شرق الأردن جزءً من مسرح عملياته العسكرية.

يوجد في الحقبة الأخمينية (٥٣٩-٣٣٢ ق.م) وثيقة إرشام الآرامية التي تعود في تاريخها إلى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، والتي نظمت لرحلة من بابل إلى مصر لموظف يعمل لدى مرزبان مصر المدعو أرشام. وهي تعطي سير الرحلة ما بين بابل عبر بلاد الرافدين وسوريا حتى مدينة دمشق (Driver 1954: 6)، ويحاول جراف (Graf) تتبع هذه الطريق في الحقبة الأخمينية في شرق الأردن حيث توجد مكتشفات أثرية جديدة لبقايا أخمينية في مواقع على طول هذه الطريق مثل عمان وطويلان وبصيرا والعقبة، وهذه المكتشفات تشير إلى أنه ربما كان لطريق تراجان الممتد من البحر الأحمر إلى سوريا أصل آشوري أخميني، إذ يعد هذا الطريق المسلك الرئيس عبر شرق الأردن، ولذلك يحتمل وجود استيطان في المنطقة في الحقبة الأخمينية لحدوث الإتصال من مدينة دمشق مرورا بشرق الأردن كونها تقع في منتصف هذا الطريق (Graf 1992: 459)، كما كشف عن مجموعة من المجوهرات ذات النمط الأخميني بالإضافة إلى ختم ومجموعة من العملات التي تعود في تاريخها إلى عام ٤٤٥ ق.م وجدت بالقرب من الحدود الأردنية السورية إلى الغرب من مدينة بصرى وهي تؤكد وجود استيطان يعود للحقبة الأخمينية (Kraay and Moory 1968: 181-210).

تتمثل الشواهد الكتابية التي تعود للمرحلة الهلنستية وهي قليلة في المنطقة ببرديات زينون أحد الموظفين الإداريين البطالمة. والتي تعود في تاريخها إلى حوالي عام ٢٥٩ ق.م، وهي عبارة عن مذكرات إدارية وتجارية لهذا الشخص وجدت في مصر. فإحدى الوثائق تشير إلى الوجود النبطي في المنطقة من خلال تعامل وكلاء زينون مع الأنباط في تجارة العبيد (Edgar 1925) فيما تذكر بردية أخرى شخصاً اسمه رابيل (Edgar 1925: 27-29)، وهو اسم نبطي معروف، وأحد أسماء ملوك الأنباط فيما بعد. ويبدو أن المنطقة في هذه المرحلة بدأت تدخل تحت السيطرة النبطية تدريجياً، كما بدأت ترتبط بتاريخ الأنباط فقد عثر على نقش كتابي نبطي غير مؤرخ، موجود حاليا في متحف دمشق يرجح ميليك (Milik) عودته إلى القرن الثالث قبل الميلاد (ستاركي ١٩٨٨: ٢٥٢).

من المصادر التي تحدثت عن المنطقة في المرحلة النبطية مصدران مهمان: الأول هو أسفار المكابيين، والثاني هو كتابات المؤرخ اليهودي جوزيفوس في كتابيه (حروب اليهود) و(عاديات اليهود). وهذه المصادر لا تتحدث عن المنطقة بشكل مستقل ولكن في إطار علاقتها وصراعها مع اليهود، ومع أن هنالك بعض الشواهد القليلة التي تشير إلى وجود اليهود في مناطق حوران عموماً إلا أنه يجب أن نأخذ هذه الكتابات بحذر كونها تقدم تاريخاً منحازاً ومليئاً بالفجوات.

في عام ١٦٣ ق.م سار يهوذا المكابي وأخوه يوناثان وصادفا الأنباط ..... (المكابيين الأول ٥: ٢٤-٢٦) ويمكن أن يفهم من خلال النص أن موقع اللقاء كان في حوران على أساس أنهم ساروا ثلاثة أيام في البرية (Graf 1992: 461) إضافة إلى أنهم تجاوزا الجلعاديين في شمال الأردن. وفي عام ٩٣ ق.م تقريباً اصطدم الأنباط مع اليهود في الجولان، واستطاع الأنباط بقيادة ملكهم عبادة الأول الانتصار على اليهود (Josephus 1928).

بدأت المنطقة بالازدهار السريع والتوسع الاستيطاني في القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي تحت حكم الأنباط، ولعل أهم أسباب هذا الازدهار هو استتباب الأمن في المنطقة، زيادة على أن الأنباط أدخلوا تقنياتهم الرائدة والفعالة في الاستفادة من الثروات المائية في المناطق ذات المياه السطحية القليلة مثل بادية النقب في جنوب فلسطين، وكذلك في حوران (دانتز: ٣٢٣).

وهذا التقدم السريع في المنطقة تعزز بشكل كبير بالأعمال البنائية الكبيرة التي قام بها الملك النبطي رابيل الثاني (٧١-١٠٦م) والتي أثبتتها أعمال التنقيب في بصرى وسيع (Dentzer et al. 1982: 177-190; Dentzer and Dentzer-Feydy 1983: 15-25; Dentzer 1984: 163-174) وأسباب هذا التوسع غير معروفة ويمكن عدها جزئياً رد فعل من الملك النبطي رابيل الثاني على ثورة قادها (داماسي) وهو أحد أفراد عائلة نبطية بارزة من الحجر (مدائن صالح) في الحجاز، ويوجد عدد من النقوش الصفوية تشير إلى أن قبائل ضيف وماسكة ومحارب كانت ضمن القوات المتحالفة التي دعمت ثورة داماسي في منازعته للملك النبطي الجديد (Berthier 1985: 5-46). ويبدو أن رابيل الثاني بعد قضائه على هذه الثورة اتخذ لقباً جديداً بدأ يقترن باسمه بانتظام بعد عام ٧٥/٧٦ م وهو (واهب الحياة والخلاص لشعبه) (Winnett 1973: 54-57). كما يمكن أن يفسر التوسع العمراني في عهد رابيل الثاني لمحاولة الأنباط ترسيخ وزيادة السيطرة على المنطقة لا سيما وأن طرق التجارة الدولية تحولت من البتراء إلى تدمر مع منتصف القرن الأول الميلادي، وأصبحت البادية السورية هي الطريق الرئيس المؤدي إلى الرافدين والجزيرة العربية، والذي أدى هو أيضاً إلى تدهور الطريق التجاري النبطي من البتراء إلى غزة (Graf 1992: 463). ولذلك زادت أهمية المنطقة مما دفع بالملك

النبطي رابيل الثاني إلى نقل عاصمته من البتراء إلى بصرى (Bowersock 1971: 239-240) وثبت هذا النقل للعاصمة من خلال نقش كتابي يحمل إهداء إلى ذي الشرى أعرا) الإله النبطي، إله سيدنا الموجود في بصرى، مؤرخ في عام ٢٣ لحكم الملك رابيل واهب الحياة والخلاص لشعبه (ستاركي: ٢٦٧).

زاد اهتمام الرومان بالمنطقة الشمالية من الولاية العربية، وذلك لحماية القرى والمناطق الزراعية، وحماية طرق القوافل المتجهة إلى دمشق شمالاً وإلى موانيء البحر المتوسط غرباً، وضبط تحركات القبائل العربية المجاورة (Parker 1986: 15)، ولذلك كانت تحصن القرى أو توضع فيها حاميات عسكرية، وأهمها الفيلق الثالث الذي كان مركزه في مدينة بصرى عاصمة الولاية (MacAdam 1986: 176) كما كان للدولة الرومانية اهتمام كبير بالسيطرة على طريق وادي السرحان الواصل ما بين الجزيرة العربية وجنوب سوريا، وهو الطريق الطبيعي لهجرة القبائل العربية ولذلك تم وضع العديد من القلاع للسيطرة على الجزء الشمالي الغربي من الوادي (Parker 1986: 15).

من أجل تنشيط الحركة التجارية تم إنشاء طريق إستراتيجي مهم يصل ما بين بصرى والعقبة على البحر الأحمر بطول حوالي ٣٥٠ كم، وهو يتبع الطريق المعروف باسم طريق الملوك في معظمه عدا في المنطقة الشمالية حيث يظهر بأنه حديث الإنشاء أو يتبع طريقاً صحراوياً ثانوياً، والاسم القديم لهذا الطريق غير معروف، وأصطلح عليه الباحثون باسم طريق تراجان (Via Nova Traiana) نسبة إلى الإمبراطور تراجان الذي تم إنشاء الطريق في عهده، إذ تشير الكتابات المؤرخة على أعمدته الميلية إلى أنه أنشئ في المدة من (١١١-١١٤م) وهنالك بعض التجديدات في القرون اللاحقة (Kennedy 1995: 103).

لحماية هذا الطريق الحيوي المهم إضافة إلى حماية حدود الولاية العربية كانت توجد مجموعات من المشاة أو الفرسان، أو راكبي الجمال في مناطق إستراتيجية في الأماكن الأكثر عزلة من الولاية العربية، في حين توجد قوات رئيسية في أماكن الاستقرار والمناطق الزراعية، زيادة على شبكة معقدة من أبراج المراقبة والحصون (Bowersock 1983: 103)، وهذا الشكل من الحصون هو ما عرف باسم التخوم العربية (Limes Arabicus) ويشير مصطلح أل (Limes) إلى الحدود المحصنة للولاية العربية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، والكلمة في الأصل تعني الطريق، ومع نهاية القرن الأول أصبحت بمعنى الحدود ما بين الإمبراطورية الرومانية والأقوام الأخرى التي سموها البرابرة، وفي القرن الثاني أصبحت الكلمة تعني سلسلة من الحصون التي ترتبط بطرق فيما بينها بشكل منظم (Parker 1986: 1). ولعل معظم الأعمال البنائية التي تمت في المرحلة اللاحقة تصب في هذا الاتجاه الدفاعي عن حدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية في وجه الأخطار الخارجية المتمثلة بالفرس والقبائل البدوية العربية، وهذا ما يمكننا استنتاجه من خلال النقوش سواء التذكارية أو البنائية في الولاية العربية كلها أو في منطقة حوران بخاصة، ومعظم التحصينات الرومانية المعروفة في شرق الأردن تقع إما بالقرب من طريق تراجان مباشرة أو ضمن مسافة ٢٠-٣٠ كم إلى الشرق منه (Parker 1986: 127).

إن طريق تراجان وكما هو معروف جيداً يتبع طريقاً نبطياً، لذا يقدم الفخار الذي جمع من السطح في العديد من المواقع استيطانا نبطياً من القرن الأول إلى القرن الثاني فما بعد، لذلك يحتمل أن الحاميات الرومانية حلت محل الحاميات النبطية في العديد من هذه المواقع، ومن جهة اخرى فليس هنالك أية شواهد مؤكدة على أن هذا الاستيطان كان عسكرياً بطبيعته (Parker 1987: 153).

يوجد في القرن الثاني القليل مما أمكننا معرفته عن التحصينات في المنطقة، فالفيلق الثالث متمركز في بصرى وهنالك كتائب منه نشرت خلال الولاية، وهنالك قلعتان استوطنتا في هذا القرن تقعان إلى الشمال من الأزرق هما قصر الحلابات وقصر الأصيخم وهما يتحكمان في المخرج الشمالي الغربي لوادي السرحان (Parker 1986: 126).

مع قدوم ماركوس أورليوس (Marcus Aurlius) إلى الحكم في عام ١٦١ م إستؤنفت الحرب مع الفرثيين، وقد لوحظ في الأعوام الاولى من حكمه أعمال بنائية في نظام الطرق، ومن المحتمل أن هذه الأعمال ترتبط مع الحرب الفرثية فهنالك على الأقل ١٨ عموداً ميلياً مؤرخاً إلى الأعوام ١٦١-١٦٤م وجدت في الولاية العربية لوحدها، وهنالك تجديدات مهمة لطريق تراجان في الجزء الشمالي ما بين بصرى وعمان (Parker 1986: 128). ومن الشواهد البنائية أيضاً بوابة كومودوس في الجهة الغربية من سور أم الجمال والمؤرخة إلى ١٧٧-١٨٠ م (Littman *et al.* 1913: 232). في نهاية القرن الثاني الميلادي (١٩٨م) وسع الإمبراطور سبتموس سفيروس (١٩٣-٢١١ م) الولاية العربية إلى الشمال، وقد أصبحت مدن وقرى كانت تابعة لولاية سوريا تابعة للولاية العربية في مناطق إلى الشمال من بصرى (Bowersock 1983: 114) والتخوم العربية تحت حكم الأسرة السفيرية معروفة بشكل أفضل عن ما كان في السابق فهنالك العديد من النقوش البنائية العسكرية، أعمدة أميال، وبعض المصادر التاريخية؛ فهنالك نقشان لاتينيان من قصر العويند مؤرخان إلى ٢٠٠-٢٠٢ م، ونقش في النمارة شرق بصرى ، ونقوش أعمدة أميال لطريق الأزرق- دير الكهف لنفس الفترة، ونقش بنائي من قصر الحلابات (Parker 1986: 129). ويبدو أن هذه الأعمال التحصينية مرتبطة بشكل رئيس بالحروب مع الفرثيين في الاعوام ١٩٥-١٩٦ م و١٩٨-١٩٩م و٢١٦م (Kennedy and Riley 1990: 29-35).

هنالك صيانة لطريق تراجان من خلال وجود أعمدة أميال تعود للأباطرة ماكسميانوس (Maximinus) (٢٣٥-٢٣٨ م) وغورديان الثالث (Gordian III) (٢٣٨-٢٤٤م) (Parker 1986: 131).

في الأعوام ٢٤٤-٢٤٩م تولى الإمبراطور فيليب العربي عرش الإمبراطورية الرومانية حيث قام بإعادة بناء قريته شهبا الواقعة في حوران وسماها باسمه فيلبوبولس، كما أن المنطقة عموما لقيت عناية

ورعاية من ابنها الإمبراطور.

في أواسط القرن الثالث الميلادي حدثت تطورات مهمة في المشرق أثرت بشكل كبير في تاريخ المنطقة إذ حلت قوة جديدة هي القوة الساسانية مكان الاسرة الفرثية في حكم بلاد فارس واحتلت العراق وأقاليم في المشرق (٢٢٦-٦٣٧م). ولم يستطع الرومان الوقوف بوجه هذه القوة الجديدة إلا بمساعدة قوة اخرى هي مملكة تدمر، فقد قام الفرس بقيادة شابور الأول بن أردشير (٢٤١-٢٧٢م) بغزو سوريا وشرق الأناضول في الأعوام٢٤٣ و٢٥٦ و٢٥٩م ولكن لا توجد دلائل حول وصول الفرس إلى الولاية العربية خلال هذه الغزوات (Parker 1986: 131).

تشير العديد من النقوش الصفوية إلى حرب ما بين الرومان والميديين (الفرس) في المنطقة، ومن هذه النقوش (رجع بالغنيمة في السنة التي تحارب فيها الميديون والرومان في بصرى) (CIS 5. 4448) ويذكر نقش آخر (وثار ضد الرومان في السنة التي جاء بها الميديون) (Winnett 1957) وهنالك نقوش مؤرخة في زمن إعادة السيطرة الرومانية على المدينة (بصرى) (Winnett and Harding 1978). وكما أشرنا فإن غزوات الفرس لم تؤثر في المنطقة ولذلك ربط العديد من الباحثين هذه النقوش مع غزوة قامت بها قوات زنوبيا التدمرية للولاية العربية حوالي عام ٢٧٠م، وفيها تم تدمير معبد جوبيتر هامون، ومركز الفيلق الثالث في بصرى وقتل القائد الروماني (Syrig ١٩٤١: ٤٦-٤٧).

كل هذه القلاقل في المنطقة يمكن ربطها مع ما يسمى بأزمة القرن الثالث في الإمبراطورية الرومانية، والتي تمثلت بالحروب الأهلية، والغزوات الاجنبية، والفوضى الإقتصادية لمدة تزيد عن نصف قرن حتى قدوم ديوكلتيان إلى الحكم (٢٨٤-٣٢٤م) (Alfoldi 1981:165-231) والذي قام بزيادة التحصينات في الولاية العربية، وتأسيس سلسلة من القلاع على الطريق المعروف باسم طريق ديوكلتيان (Strata Dioclitiana) (الشكل ٢)، وأهم هذه التحصينات هي مدينة أم الجمال، ودير الكهف، وأم القطين، والأزرق، وقد زادت الحصون في المنطقة في حدود عام ٣٠م إلى الضعف تقريباً (Parker 1986). وربما كانت هذه التحصينات الجديدة مرتبطة مع هجرة جديدة للقبائل العربية إلى المنطقة وهم التنوخيون، الذين يذكرهم الطبري بأنهم "جماعة من قبائل العرب اجتمعوا بالبحرين فتحالفوا على التنوخ - وهو المقام - وتعاقدوا على التآزر والتناصر، وضمهم اسم تنوخ فكانوا بذلك كأنهم عمارة من العمائر" (الطبري ١٩٦١: ٦١٠).

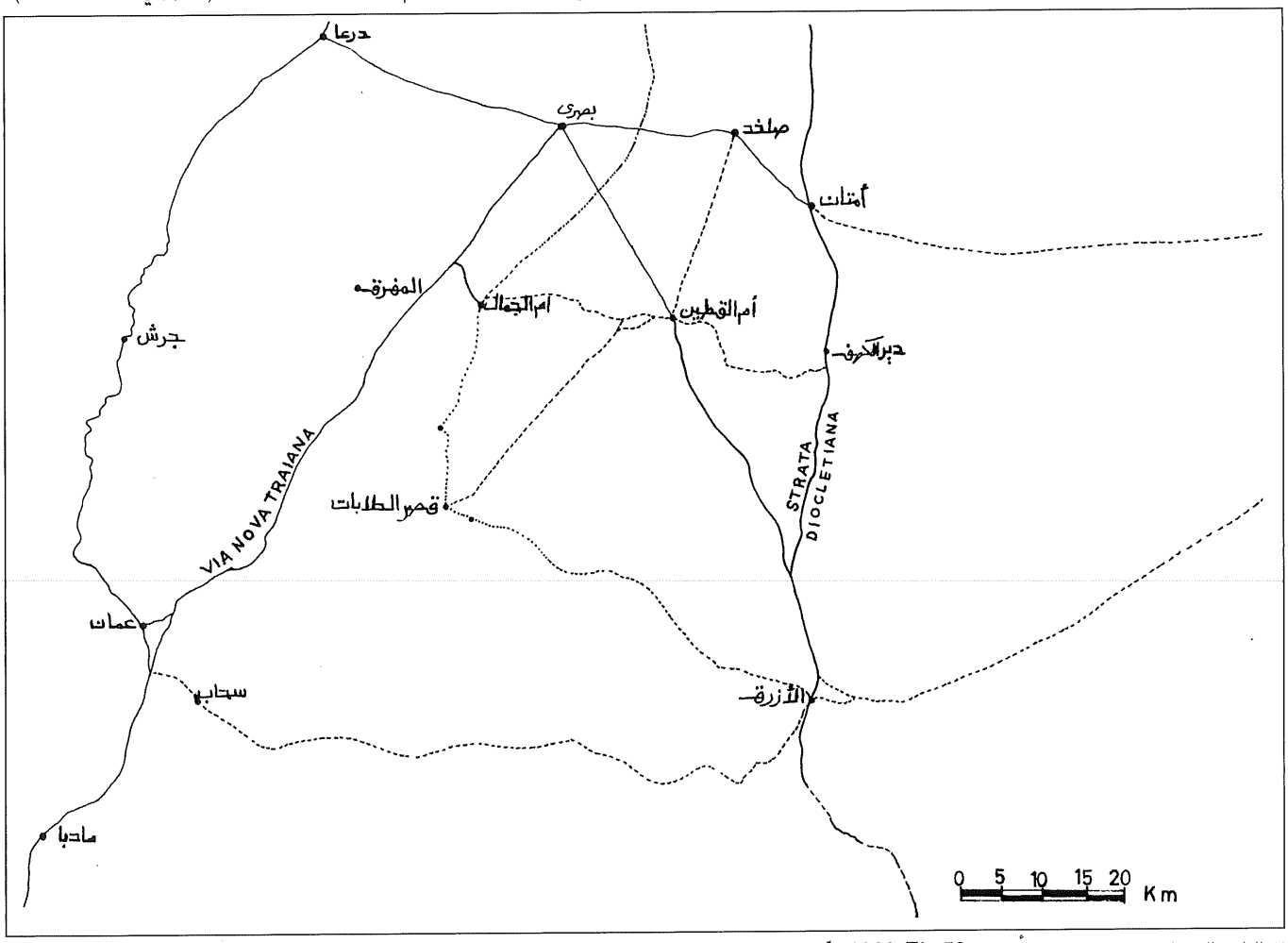

٢. الطرق الرومانية في شمال شرق الأردن (Kenndy 1982: Fig.50).

ولما استولى أردشير بن بابك على الحكم (٢٢٦-٢٤١م) في العراق كره كثير من تنوخ أن يقيموا في مملكته وأن يدينوا له بالولاء فلحق جزء منهم بالشام، وكانت مساكن تنوخ بيوت الشعر والوبر غربي الفرات فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها (الطبري: ٤٢-٤٣). وقد تأكد وجود حلف تنوخ القبلي في المنطقة من خلال نقشين؛ الأول هو نقش مزدوج اللغة نبطي – إغريقي من أم الجمال، وهو عبارة عن تذكار لمعلم ملك تنوخ جذيمة الأبرش المسمى فهر بن شلي (Littmann *et al.*: 238)، وقد وصف جذيمة في هذا النقش بأنه (ملك تنوخ)، وفهر هذا من المحتمل أن يكون نبطياً عربياً عاش في الولاية العربية، وخدماته إلى ملك تنوخ تعكس تغلغل وتوسع نفوذ الحلف التنوخي في المنطقة الصحراوية العربية ومن المحتمل إلى سوريا كذلك (Bowersock 1983: 133). وتشير المصادر التاريخية العربية إلى مقتل جذيمة على يد زنوبيا ملكة تدمر ثم انتقام ابن أخته عمرو بن عدي من زنوبيا وقتلها في قصة طويلة (الطبري: ٦١٨-٦٢٨).

هذه الأخبار عن الصراع التدمري – التنوخي تأكدت من خلال نقش النمارة المكتوب باللغة العربية وبالخط النبطي، وهو عبارة عن تذكار على قبر امرؤ القيس بن عمرو بن عدي الذي وصف بأنه "ملك العرب كلهم" ويؤرخ هذا النقش إلى عام ٣٢٨م (ديسو ١٩٥٩: ٣٣-٣٤). ويشير هذا النقش إلى أن امرؤ القيس قد لبس التاج وهو رمز الملكية، وملك قبائل أسد وملوكهم، وهزم قبيلة مذحج، وجلب النصر إلى أسوار نجران مدينة شمر، وملك قبائل معد، وأمر بنيه على القبائل، ووكلهم فرساناً للروم (ديسو ١٩٥٩: ٣٣-٣٤). وربما أدى التوسع الكبير لهذا الملك إلى الاصطدام بالملك اليمني شمر يهرعش، إذ أن مذحج كانت من بين العشائر الأعرابية المقاتلة في جيش شمر يهرعش (بافقيه ١٩٧٣: ١٥٠).

زيادة إلى ما قام به الإمبراطور ديوكلتيان من تحصين للولاية العربية لا سيما في الأجزاء الشمالية فقد قام بعد عام ٣١٤م بفصل الجزء الجنوبي من الولاية العربية، إلى الجنوب من وادي الحسا، والمتضمن البتراء والنقب، ومن المحتمل الحجاز أيضاً، وأصبحت جزءً من ولاية فلسطين، فيما حافظ الجزء الشمالي على الحدود والتسمية نفسيهما. وهذا الفصل الذي قام به ديوكلتيان يظهر فهماً عميقاً للطبيعة الجغرافية للمنطقة، إذ ترتبط بصرى والمدن الشمالية مثل جرش وعمان ودرعا طبيعيا بطرق مع دمشق وبالطريق الداخلي إلى الجزيرة العربية المار عبر وادي السرحان (Bowersock 1983: 142-143).

الطرق التجارية

لم يكن إنشاء الطرق في الحقبة الرومانية في المنطقة لأهداف تجارية بالدرجة الأولى ولكن كان الهدف الأول منه هو الهدف العسكري، فنلاحظ مثلاً بأن طريق تراجان بني بشكل مستقيم ما أمكن (**الشكل ٢**)، لذا تجنب المرور في بلدة مهمة هي أم الجمال، وإن كانت البلدة قد ربطت مع الطريق من خلال طريق فرعي، وهذا ما كان يميز طريق تراجان بطريق السير السريع لكونه يتيح لقوات بصرى الانتقال نحو الجنوب للتدخل السريع (بوزورث ١٩٨٨: ٢٢٥) في حال وجود أعمال عدائية أو اضطرابات كون هذه المنطقة هي قلب المملكة النبطية سابقاً. زيادة على ذلك كان أفراد من الجيش يقومون بأعمال الطرق وإنشائها وصيانتها كما تشير إلى ذلك بعض الكتابات التي عثر عليها في الأزرق والبتراء (بوزورث ١٩٨٨: ٢٣١)، كما أن الرومان اهتموا بالناحية العسكرية لحماية هذه الطرق متابعين في ذلك الأنباط الذين سبقوهم في المنطقة، ولذلك وضعوا حاميات عسكرية ونقاط مراقبة على طول وادي السرحان (Bowersock 1984: 133-135). وعلى الرغم من هذا الهدف العسكري الذي أنشأت الطرق لأجله قدمت هذه الطرق إسهاما مهما في النشاط التجاري، ونستطيع أن نشدد على أهمية هذا الدور من خلال أن معظم هذه الطرق ولاسيما الرئيسة منها مثل طريق تراجان وطريق ديوكلتيان كانت تقع على امتداد طرق مهمة سابقة لها في الاستخدام، فطريق تراجان يتبع ما يعرف باسم طريق الملوك السابق له والعائد إلى الألف الأول قبل الميلاد في تاريخه، وطريق ديوكلتيان يقع على امتداد طريق وادي السرحان، وكلا الطريقين كانا من الطرق المهمة في عهد الأنباط.

تعد الطرق الرومانية في المنطقة وفي منطقة حوران عموماً من أهم المخلفات الأثرية التي حافظت على بقايا لها ولتجهيزاتها مثل الأبراج والقلاع والأعمدة الميلية وقد تمكن الباحثون من تتبع هذه الطرق من خلال الصور الجوية والخرائط القديمة والمسوح الأرضية، والكتابات التي تحملها الأعمدة الميلية.

سنستعرض فيما يأتي الطرق المارة من خلال المنطقة

– **طريق تراجان Via Nova Traiana** (**الشكل ٢**): أنشئ هذا الطريق الحيوي المهم الواصل ما بين مدينة بصرى في جنوب سوريا، وأيلة (العقبة) على رأس خليج العقبة على البحر الاحمر ماراً بمدن مهمة مثل فيلادليفيا (عمان) والبتراء وغيرها بطول حوالي ٣٥٠ كم في عهد الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) إذ تشير الكتابات المؤرخة على أعمدته الميلية إلى أنه أنشئ ما بين ١١١-١١٤م، كما تشير بعض الكتابات إلى أعمال صيانة وترميم لأجزاء من الطريق امتدت حتى عهد الإمبراطور جوليان (٣٦٠-٣٦٣م) مما يشير إلى الأهمية التي أولاها الرومان للطرق وصيانتها (Kennedy and Riley 1990: 77). والاسم القديم لهذا الطريق غير معروف، ويعرف في الوقت الحاضر باسم طريق تراجان (Via Nova Traiana)، وهو يتبع في معظمه طريق الملوك السابقة له، ما عدا المنطقة الشمالية حيث يظهر بأن الطريق إنشاء حديث، أو أنه يتبع طريقاً صحراوياً ثانوياً (Kennedy 1995: 221).

يعد الطريق من أفضل الطرق التي حافظت على بقائها في المنطقة ويمكن تتبع آثاره في شمال الأردن لمسافة عشرات من الكيلومترات، كما كشف عن عشرات من أعمدته الميلية (Thomsen 1917: 1-103). وقد كان هذا الطريق محط أنظار واهتمام الكثير من الباحثين منذ مطلع القرن الماضي في الأقل مثل دوراند وبرونو ودوماسفسكي وبعثة جامعة برنستون الأميركية

(Germer-Durand 1904: 343; Brunnow and Domaszewki: 221-227 and 312-323) ومنذ مطلع السبعينات كانت هنالك دراسات مستفيضة للطرق في شمال الأردن وحوران ولاسيما طريق تراجان من قبل توماس بوزو (Th. Bauzou) وديفيد كندي (Kennedy 1997: 71-93). يتفرع من طريق تراجان عند العمود الميلي السابع من بصرى في كوم المنارة فرع يصل إلى الفدين (المفرق)، ومن المحتمل أنه يمر ببلدة رحاب (إلى الغرب من المفرق بحوالي ١٢ كم) في طريقه إلى جرش، وهذا الفرع يمكن تتبع آثاره من خلال الصور الجوية حتى شمال شرق الفدين، كما كشف عن أجزاء من أعمدة ميلية في الفدين تؤكد وجوده (Dussaud and Macler 1903: 145-150) (Germer- Durand 1904: 12-14) ويمر هذا الفرع في طريقه إلى المفرق ببلدة أم السرب. هذا فضلا عن فرع آخر يصل إلى أم الجمال من شمال قصر الباعج، ومن المحتمل أنه يتابع مسيره إلى أم السرب.

توجد مع الطريق السابق مجموعة من الطرق حول مدينة أم الجمال حددت من خلال الصور الجوية، أحدها طريق يربط أيضاً بطريق تراجان قرب المحطة الميلية ١٤، وطريق آخر من المحتمل وجوده يسير غرباً من أم الجمال باتجاه الفدين، وربما كان جزءً من طريق يربط ما بين مدينة جرش وبلدة دير الكهف (**الشكل ٢**) (Kennedy 1997: 71-93).

وهنالك طريق يمتد من أم الجمال جنوباً ويمر إلى الشرق من القحاطي، وينقسم على فرعين أحدهما يتجه إلى الجنوب الغربي باتجاه القحاطي وقصر الحلابات، والآخر يستمر بشكل مستقيم ليمر قرب قبر دواس على بعد حوالي ٥كم إلى الشرق من القحاطي، وربما يتابع مسيره إلى واحة الأزرق باتجاه جنوب شرق (Kennedy 1997: 20-21) (**الشكل ٢**).

كشف في أم القطين التي تعد مركزاً لشبكة من الطرق عن العديد من الأعمدة الميلية، وأهم هذه الطرق هو الطريق الواصل إلى بصرى والقادم من تفرع طريق ديوكلتيان، ويحتمل وجود طريق يصل غربا حتى أم الجمال، وطريق ثالث يسير شمالاً باتجاه تل الغارية (في سوريا) إلى صلخد (في سوريا)، وتعود هذه الطرق كما تدل الأعمدة الميلية إلى الحقبة ٢٩٣-٣٢٤م (Kennedy 1997: 9) وجميع هذه الطرق غير واضحة على الأرض في الوقت الحاضر باستثناء الطريق الواصل إلى بصرى، إذ لا تزال بقايا هذا الطريق واضحة إلى الشمال الغربي من أم القطين ويمر بخربة السعادة على الحدود الأردنية السورية.

كما يحتمل وجود طريق يصل أم القطين بدير الكهف لأهمية هذين المركزين ولكن وجود هذا الطريق غير مؤكد (Kennedy 1997: 71-93) (**الشكل ٢**).

يوجد طريق يسير من صلخد إلى أمتان ثم إلى جاوة، وهو مؤكد من خلال الصور الجوية أما امتداده شرقاً إلى قصر برقع فهو غير واضح، إذ يظهر جزء من الطريق في موقع الشبيكة من خلال صورة جوية، ويذكر بويدبارد وجود برج مراقبة وطريق روماني إذ يظهر من خلال الصورة الجوية أطراف هذا الطريق (Poidebard 1934: 97)، كما لاحظ شتين (Stien) من خلال صورة جوية وجود مخفر روماني مربع الشكل، ومن المحتمل طريق روماني يمتد منه بشكل مستطيل إلى الغرب (Stien 1982: 235)، علماً بأن موقع الشبيكة كما هو مفترض هو أحد محطات هذا الطريق، ولكن من خلال مسوحنا الميدانية لم يتأكد لنا هذا الطريق، وما ظهر من خلال الصور الجوية والذي فسر على أنه مخفر أو برج لا يعدو أن يكون مدفناً مربع الشكل يعود في تاريخه إلى الألف الرابع أو الألف الثالث قبل الميلاد، وكذلك لم نتأكد من وجود طريق، والمرجح أن ما ظهر في الصور الجوية هو القنوات المائية في الخربة.

- **طريق ديوكلتيان Strata Dioclitiana** (**الشكل ٢**): يسير هذا الطريق من الأزرق بإتجاه الشمال، وبعد حوالي ١٦ كم ينقسم على فرعين الأول منهما يتابع مسيره شمالاً إلى دير الكهف ومنها يتابع سيره إلى أن يرتبط مع الطريق الرئيس الواصل ما بين دمشق وتدمر، والفرع الآخر يتجه إلى الشمال الغربي ليمر بأم القطين في طريقه إلى بصرى (Poidebard 1934: 57-66 and 73-83). والجزء الجنوبي من طريق ديوكلتيان ما بين الأزرق ودير الكهف يمر بالمنطقة، وعرف باسم طريق ديوكلتيان من قبل ديسو وماكلر (Dussaud and Macler 1903: 433). وقد أكدت الكتابات التي ظهرت على الأعمدة الميلية بناء هذا الطريق في عهد الإمبراطور ديوكلتيان في عامي ٢٠٩-٢١٠م (Kennedy 1982: 169-177)، أما فرع هذا الطريق ما بين الأزرق وأم القطين، وامتداده إلى بصرى فهو متأخر في تاريخه ويعود إلى السنوات ٢٨٤-٣٠٥م من خلال الكتابات التي ظهرت على أعمدته الميلية (Kennedy and Riley 1990: 84) . يعد طريق ديوكلتيان امتدادا للطريق الطبيعي الواصل ما بين الجزيرة العربية وسوريا والمار عبر وادي السرحان، الممتد باتجاه شمال غرب إلى جنوب شرق، ويمتد الوادي من الأزرق إلى الجوف بطول يزيد عن ٢٠٠ ميل، وبعرض يزيد عن٢٠ ميل في بعض المناطق، وتقع مجموعة من الواحات على امتداده (Glueck 1944: 7).

كان الطريق الرئيس الذي يصل ما بين الجزيرة العربية وسواحل البحر المتوسط يسير من جنوب الجزيرة العربية إلى البتراء، أو من الجرهاء وميسان في المنطقة الشرقية من الجزيرة إلى البتراء، أو عن طريق البحر الأحمر إلى أيلة (العقبة) ثم إلى البتراء، ومن البتراء يتجه الطريق غرباً إلى غزة على البحر المتوسط، أو أن يتجه شمالاً إلى بصرى فدمشق. ويوجد طريق داخلي يمر بوادي السرحان يصل إلى بصرى فدمشق أو يتجه شمالاً إلى تدمر. ومما يؤكد أهمية هذا الطريق الداخلي في الحقبة الرومانية هو العثور على حجر يمثل نهاية طريق في الأزرق يسجل المسافات من الأزرق إلى مناطق مختلفة منها دومة (Dumat) وهي الجوف حالياً في المملكة العربية السعودية، على بعد حوالي ٢٥٠كم إلى الجنوب من الأزرق (Kennedy 1982: 169-186)، وهذا يعطي تأكيداً مهماً للاهتمام الروماني بطريق وادي السرحان.

كما تشير الكتابة إلى أعمال بنائية قامت بها كتائب من عدة أفواج رومانية في نهاية القرن الثالث الميلادي (Kennedy 1982: 182).

يصنف بويدبارد الطرق الرومانية في المنطقة من حيث البنية إلى أ. طرق مبلطة كلها مثل طريق تراجان.

ب. طرق من دون تبليط: وهو الصنف الأكثر انتشارا وكان سطح هذه الطرق ينظف من الحجارة، وتؤشر جوانبها بصف من الحجارة في كل جانب، وكانت تبلط في الأماكن الوعرة والسيئة مثل تقاطعها مع الأودية ومن أشهر هذه الطرق طريق ديوكلتيان.

جـ. طرق القوافل: وهي الطرق غير المؤشرة وعرفت من خلال وجود أبراج للمراقبة، ونقاط للحراسة، وآبار مياه على امتدادها، وغالباً ما تتواجد هذه الطرق في المناطق الصحراوية النائية (Poidebard 1934: 165-167).

يبلغ عرض طريق تراجان الذي لا تزال بقاياه واضحة حتى الآن ما بين ٥,٥-٦ م، ويقسم بشكل متساوٍ إلى ممرين بصف من الحجارة ترتفع من ١٥-٢٠سم فوق مستوى الطريق الذي يرصف بحجارة صغيرة غير منتظمة الشكل، وينحدر الطريق بشكل بسيط من المنتصف إلى الحواف التي تحدد بصف آخر من الحجارة المشابهة للصف الوسطي وتثبت بإحكام في التربة، ويتكون السطح الخارجي للطريق من طبقة من الرماد البركاني بسمك ١٠ سم تغطيها طبقة من الطين المضغوط، أما الطبقة السفلية من الطريق فتتكون من بلاطات غير متساوية من الحجارة البازلتية الكبيرة بسمك ١٠-٢٠سم. وهذا الطريق مشابه في بنيته لطريق اللجا في حوران (في سوريا) ومن خلال هذين الطريقين يمكن أن نعيد تركيب الطرق الرومانية المبلطة كما يأتي

١. طبقة ترابية.

٢. طبقة من البلاط الحجري المرصوف افقياً.

٣. طبقة من الحجارة الصغيرة المرصوفة بإحكام بسمك ١٥-٢٠سم.

٤. طبقة إكساء خارجية من المحتمل أن تكون مؤلفة من الرمل والحصى الصغير بسمك ١٥سم، وتقسم الطريق بثلاثة صفوف من الحجارة (بوزورث ١٩٨٨: ٢٢٠).

يلاحظ على هذه الطرق بأن العربات لم تستخدم عليها إذ لم يلاحظ آثار للعجلات عليها كما هو الحال في مدينة جرش مثلاً، وربما كان النقل يتم بحيوانات النقل وليس الجر، واعتمد على الجمل بشكل رئيس وقد ظهر الجمل على عملات بصرى كشعار لها (بوزورث ١٩٨٨: ٢٣١).

المراجع

الحموي، ياقوت

١٩٧٩ **معجم البلدان**. ج٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

العجلوني، غازي

١٩٧٤ **جغرافية صبحا: دراسة طبيعية، بشرية، اقتصادية**. الجامعة الأردنية.

باقر، طه

١٩٧٣ **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**. بغداد: دار البيان، بيروت: دار الثقافة.

بافقيه، محمد

١٩٧٣ **تاريخ اليمن القديم**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بوزورث

١٩٨٨ طرق المواصلات في حوران في العصر الروماني. **حوران** : ٢٠٧-٢٥٠.

ديسو، رينيه

١٩٥٩ **العرب في سوريا قبل الإسلام**. ترجمة عبد الرحمن الدواخلي. القاهرة.

ستاركي، جان

١٩٨٨ الكتابات والنقوش النبطية وتاريخ سورية الجنوبية وشمال الأردن. **حوران** ١: ٢٥١-٢٧٧.

الطبري، محمد بن جرير

١٩٦١ **تاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك**. ج١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف.

محمد، حياة إبراهيم

١٩٨٣ **نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م)**. بغداد.

Alfoldi, A.

1981 The Crisis of the Empire (A.D. 249-270). *CAH* 12: 165-231.

Baly, D.

1985 The Nature of Environment with Special Relation to the country of Jordan. *SHAJ* 2: 19-24.

Bender, F.

1974 *Geology of Jordan*. Gebruder Borntraeger: Berlin.

Berthier, S.

1985 Sondage dans Le Secture des Thermes Sud a' Busra 1985. *Berytus* 33 (1985): 5-46.

Betts, A.

1991 *Appendix A, The Jawa Area in Prehistory. Excavations at Jawa 1972-1986 Stratigraphy, Pottery and other Finds*. Edinburgh University Press.

Betts, A., Ames, S., Hulka, S., Schroder, M., Rust, J., and Mclaren, B.

1996 Studies of Bronze Age Occupation in the Wadi Al-'Ajib, Mafraq District. *Levant* 28: 27-40.

Bowersock, G.

1971 A Report on Arabia Provincia. *JRS* 61 (1971): 219-242.

Bowersock, G.

1984 Nabataians and Romans in the Wadi Sirhan. *SHAJ* 2: 133-135.

Dentzer, J-M.,

1984 Sondage Pre's de L Arc Nabate'en a' Bosra. *Bery*

tus 32 (1984): 163-174.
Dentzer, J-M., et Dentzer-Feydy, J., en Collaboration avec Th. Bauzou, S. Koudsi, F. Larche', F. Ville neuve.
1982 Premie're Campagne de Fouilles A Si^ (September-October 1977). *AAAS* 32 (1982): 177-190.
Dentzer, J-M. and Dentzer-Feydy, J.
1983 Fouilles Prospections A Si^ (1977-1982). *AAAS* 33 (1983): 15-25.
Driver, G.
1954 *Aramic Ducuments of the Fifth Century B.C.* Oxford.
Dussaud, R. et Macler, F.
1903 *Rapport Sur Une Mission Scientifique les Re'gions Desertiques de la Syrie Moynne.* Paris.
Edgar.
1925 *Zenon Papyrie I.*
Forrer, E.
1920 *Die Provinzeinteilung des Assyrischen Reiches.* Leipzig J. C. Hinrichsche Buchhandlung.
Glueck, N.
1944 Wadi Sirhan in North Arabia. *BASOR* 96 (1944): 7-17.
Germer-Durand, J.
1904 Rapport sur L'exploration Arch'eologique en 1903 de La Voie Romaine Entre Amman et Bostra (Arabie). *Bulletin Arch'elogique du Comite des Travaux Historiques:* 3 - 43.
Graf, D.
1992 The Syrian Hauran. *JRA* 5(1992): 455 - 465.
Josephus (37-95AD).
1928 *Wars of the Jews.* Translated by William Whiston. London. 1928.
Kennedy, D.
1982 Archaeological Explorations on the Roman Frontier in North Eastern Jordan. *BAR*: 134.
Kennedy, D.
1995 The Via Nova Traiana in Northern Jordan: A Cultural Resource under Threat. *ADAJ* 39: 221- 227.
Kennedy, D.
1997 Roman Roads and Routes in North-East Jordan. *Levant* 29: 71-93.
Kennedy, D. and Riley, D.
1990 *Romes Desert Frontier From the Air.* London.
Kraay and Moory.
1968 Two Fifth Century Hoards from the Near East. *RN* 6.10 (1968): 181-210.
Littman, E., Magie, D. and Stuart, D.
1913 *Greek and Latin Inscriptions in Syria.* PPUAES, Div. III, Sec. A. Southern Syria, Part III, Umm idj-Djimal, Leyden.
Luckenbill, D.
1975 *Ancient Records of Assyria and Babylonia.* 3rd edition.
MacAdam, H.
1986 Bostra Gloriosa. *Berytus* 34 (1986): 169 -192.
Parker, S.
1986 Romans and Saracens: A History of the Arabian Frontier. *AASOR* 6.
1987 The Roman Limes in Jordan. *SHAJ* 3: 151 -164.
Pitard, W.
1987 *Ancient Damascus: A Historical Study of the Syrian State from Earliest Times Until its Fall to the Assyrian in 732 B.C.* Winona Lake.
Poidebard, A.
1934 *La Trace de Rome dans Le Desert de Syrie.* Paris.
Saggs, H.
1984 *The Might That Was Assyria.* London.
Stien, Sir M. Limes Report in Kennedy, D.
1982 *BAR* 134: 221-298.
Syrig, H.
1941 Inscriptions de Bostra. *Syria* 22: 46-47.
Thomsen, P.
1917 Die Romischen Meilensteine der provinzen syria, Arabia und palaestina. *ZDPV* XL (1917): 1-103.
Wilson, J.
1962 The Kurba'il Statue of Shalmaneser III. *Iraq* 24 (1962): 90 - 115.
Winnett, F. and Harding, G.
1978 *Inscriptions From Fifty Safaitic Cairns.* Toronto.
Winnett, F.
1973 The Revolt of Damasi: Safaitic and Nabataean Evidence. *BASOR* 211 (1973): 54-57.
Wiseman, D.
1956 Chronicles of Chaldean Kings (626-556BC). British Musum: London.

محمود حريتاني
أستاذ محاضر – حلب

محمود حريتاني

أفامية مدينة الخمسة عشر قرنا
جرش الأخت التوأم

البادية الأردنية كمعبر للحضارة

من الأمور الغريبة لدى بعض الأوروبيين الذين يقومون بدراسات عادية و خاصة السياحية منها، تسمية "البادية" المشتركة بين سورية والأردن "بالصحراء"، وإن عدم التمييز بين البادية والصحراء يدل على نقص في الثقافة العامة لدى هؤلاء تجاه معلوماتهم عن الشرق العربي.

لعبت بادية الشام التي تقتسمها سورية والأردن دورا حضاريا هاما فقد كانت تتوسط الطرق التجارية الكبرى بين البحر الأبيض المتوسط والشرق البعيد، كما نشأت فيها ممالك وحضارات، أهمها ممالك الآراميين في الشمال السوري مثل حماه ودمشق ودولة تدمر التي مدت سيطرتها في عهد الملكة زنوبيا على مساحات شاسعة. كما ازدهرت فيها مدن في عهود مختلفة حديثة، أهمها في الفترة الهلنستية بعد حروب الاسكندر الكبير المقدوني. فقد نشأت فيها مدينة جرش ومدن أخرى بالقرب منها عرفت "بديكابوليس" المدن العشرة. ثم لعبت دورا في الفترة الرومانية، و بعدها في الفترة العربية، حيث بنيت فيها القصور الرائعة، و منها قصير عمره وغيره.

سوف نتعرض في بحثنا هذا عن أفامية ومن ثم مدينة جرش الأخت التوأم.

يصعب على أي باحث أن يعرض موضوعا متكاملا لموقع افامية، في صفحات، فهو يروي تاريخ خمسة عشر قرنا من الأحداث الهامة، فضلا عن أن البحث والتنقيب فيه مستمر منذ أن لفت الأنظار إليه العالم البلجيكي المعروف "فرانز كومون" الذي زار الموقع عام ١٩٢٨ بعد عودته من زيارة موقع دورا اوروبس المعروف على الفرات. ثم زاره في تشرين الاول١٩٢٨ البروفيسور في جامعة لوفان فرناند مايانس بدعم مالي من "المركز الوطني للبحث العلمي" البلجيكي وبرعاية ملك وملكة بلجيكا، وميزانية مخصصة من قبل الحكومة البلجيكية.

نصب فرناند مايانس والمهندس هنري لاكوست خيامهم بين أنقاض المدينة في بداية تشرين الأول ١٩٣٠ وبدءا التنقيب، وكانت النتائج رائعة جدا. واستمر الدعم المالي حتى اليوم، كما اغتنت المتاحف الملكية البلجيكية للفنون والتاريخ باللقى الأثرية، وخاصة قطع الفسيفساء الرائعة.

في ١٩٣١ قرأ المنقبون الكتابات على حاملات التماثيل على الأعمدة وتضمنت أسماء انطونين التقي ولوسيوس فيروس، وبذلك بدأ تحديد تاريخ الموقع وخاصة الشارع المستقيم "الكاردو" كما زال الالتباس بين الاسمين "أفاميا" باللغة السريانية و"أمبيغانيا" باللغة الإغريقية الرومانية، حيث اختلط الأمر على الرواة المؤرخين بين اسم مدينة حماه واسم أفامية المتشابهان. وتبين الآن أن امبيغانيا هي حماه، و افامية هي مدينة سلوقس نيكاتور المعروفة والتي طواها النسيان بعد تدميرها بزلزالين كبيرين في عامي ١١٥٧ و١١٧٠، فترة سبعمائة و ستين سنة. كما طوى النسيان مدينة جرش بعد زلزال عام ٧٤٧م المدمر.

منذ عام ١٩٣٨ وقع المهندس لاكوست على جزء كبير من الشارع بطول ٣٥ مترا، وتبين له أن طول الشارع يتجاوز ١٦٠٠ مترا وقد صنع شبيها لهذا القسم ووضعه في الصالة الكبرى للمتحف الخمسيني في بر وكسل.

قبل أن انهي هذه المقدمة لا بد من أن انوه إلى أن دراسات الباحثين و قد تناولت المواقع الأثرية، بدأت قبيل انتهاء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فقد زار شمال سورية الباحث بتلر–من جامعات الولايات المتحدة (بيل). و في عام ١٩٠٠ مر على افامية دون تحديد التسمية والتاريخ ووضع لها بعض المخططات. كما زارتها الباحثة الإنكليزية المعروفة جرترودبل في عام ١٩٠٧ وتعرفت على مدرج المدينة.

ومن الجدير بالذكر أن اكتشاف جرش جرى قبل ذلك بكثير فقد ذكرها بطليموس وسترابون والمؤرخ بلينوس، فقد تم التعرف عليها منذ عام ١٩٠٦ م من قبل باحث رحالة الماني ج. شو ماخر، وبعد ذلك بدأت فيها أعمال التنقيب منذ ١٩٢٣ م من قبل بعثات إنكليزية ،Garstang Cruofoot من ليفر بول ثم Fisher–من جامعة (بيل) وقد نقب حول معبد ارتميس. وفي ١٩٣١ تم التنقيب في الفوروم. ومن الجدير ذكره أن أول مخيم كشفي تمت إقامته في جرش في عام ١٩٣٢م وثم بدأ الترميم ولا زالت الأعمال مستمرة إلى اليوم.

١. افامية (المدينة)

مدينة الأباطرة والملوك والحكماء، زارتها كليوباترا وجاءها الإمبراطور سبتيم شفير وربما كانت معه جوليا دومنا الأميرة الحمصية

الأصل (من المعروف أن المصلبة الشمالية في جرش بنيت إكراما للأميرة السورية عندما تزوجها الإمبراطور السوري الأصل سبتيم شفير ١٩٢-٢١١م)، وهذا الإمبراطور جاء ليستشير الإله زفس بيلوس اله افامية الكبير. كما زارها كاراكلا وبومبي ونور الدين زنكي والظاهر غازي ابن صلاح الدين وغيرهم. وهي المدينة الجميلة النائمة على الهضبة والمدينة العظمى التي لا تزال تحيا وتستمر.

حملت افاميا عدة أسماء كبيرة وبعضها صغيرة (شيرسونيز chersonnese) و(انطونيو بوليس) و(نيا) التي نشأت فوق سطح الاوكروبول في فترة عصور البرونز، "فارناكة" كما ذكرها سترابون في عهد الفرعون أمنحوتب الثاني، وكذلك في الفترة الفارسية. "رونيا" حين زارتها كليوباترا "بيلا" بعد معركة إيسوس عام ٣٣٣ ق م تيمنا باسم موطن والد الاسكندر الكبير المقدوني في اليونان، بطل المعركة والمنتصر على الفرس والمتقدم في بلاد الشام حتى أقاصي الشرق.

كما عرفت "افامية" باسم الأميرة الفارسية "أباما" زوجة قائد الاسكندر الكبير(وهناك مدينتان أخريان باسم اباما لم يحدد مكانهما) سلوقس نيكاتور (٣١٢-٢٨٩ ق م) بعد معركة "إبسوس" عام ٣٠١ ق.م. وسلوقس هو الذي أعطاها وضعا مدينيا ضخما، وبقي هذا الاسم للموقع حتى اليوم، إلى جانب التسمية الثانية قلعة المضيق، كما بقي اسم جرشGerasa-الذي أحياه بومبي قائما إلى اليوم.

"قلعة المضيق" هو الاسم الحالي للبلدة الحديثة المجاورة للموقع، وجاءت التسمية لوجود القلعة العربية فوق المرتفع - اوكروبول المدينة القديمة - وكلمة المضيق لان نهر العاصي يمر بجانبها في أضيق مكان من مجراه والقلعة تسيطر تماما على مروره.

كانت إحدى مدن "التيترا بوليس" الأربع الكبرى في سورية القديمة في الفترة الهلنستية مع إنطاكية ولاوديسة (اللاذقية) وسلوقية على البحر (السويدية)، كما كانت جرش الهللنستية منذ أيام الإسكندر الكبير المقدوني، إحدى مدن "الديكابوليس" في الجنوب السوري القديم وقد جعلها أنطوخيوس التقي ثاني المدن ١٣٠-١٨٠ م، مع دمشق وشهبا وقنوات وغيرها، منذ عام ٢٠٠ ق م في عهد أنطونيوخوس الثالث، كما كانت أهم مراكز الدفاع عن الدولة السلوقية ضد هجمات البطالة وبدو البادية. وفي العهد النبطي وما بعده بقيت مزدهرة إلى أن احتلها الرومان عام ٦٤ ق.م.

تعود أصولها الأثرية إلى اكثر من سبعة آلاف عام خلت، حسب مكتشفات آثار العصر الحجري الحديث (النيولتيك) التي وجدت في حفريات جرت في المرتفع (الاكروبوليس) الذي تقوم عليه القلعة العربية. أما تخطيط المدينة الواضح إلى اليوم بشكله الشطرنجي ـــ حسب نظرية هيبوداموس ـــ فهو يعود إلى الفترة الهلنستية، في القرن الرابع قبل الميلاد وعهد سلوقس نيكاتور وبقي إلى اليوم ضمن أسوار بطول سبعة كيلو مترات و مساحة تقدر ب٢٥٠ هكتارا، فضلا عن اكتشاف مدافن خارج الأسوار، أغنت المتاحف بشواهدها الجنائزية الهامة. واكتشاف نصب بكتابة حثيه هيروغليفية من القرن التاسع ق م يتحدث عن بناء المدينة من قبل "اورهلينا" ملك "حمات" أي حماة الحالية.

أهميتها الإستراتيجية:

- لعبت دورا كبيرا في الفترة الهلنستية، و منذ توسعها كان دورها الاقتصادي كبيرا بجانب إنطاكية وعلى محاور الطرق كما كانت جرش كذلك مركزا تجاريا هاما ومركزا عسكريا كبيرا، وبالأحرى عاصمة عسكرية كبرى فيها إسطبلات الفيلة (دبابات ذلك الزمان) والخيول المطهمة، وفيها القيادة العامة ومقر وحدة المتفوقين العسكريين، وهي مقر الفيالق اليونانية العاملة في الشرق، وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦ حتى ٢٥٢ كانت المقر الشتوي للفيلق البارثي الثاني كما تدل النصب الجنائزية المكتشفة، كما كانت جرش حينئذ.
- العاصمة الثانية بعد إنطاكية، وعقدة المواصلات إليها، و قد بقيت أهميتها تلك في الفترة الرومانية - البيزنطية بعد أن فتحها القائد الروماني- بومبي ٦٤-٦٣ ق.م و دمر قلعتها (؟ !) غير أن الأباطرة الرومان لم يألوا جهدا في الاهتمام بها وخاصة الإمبراطور تراجان ٩٨-١١٧ الذي أعاد أعمارها كما اهتم بمدينة جرش وكذلك هادريان ١١٧-١٣٨ و مارك اوريل ١٦١-١٨١ الذي اعتنى بها و زاد في تجميلها، وخاصة بعد أن ضربها زلزال ١١٥-١١٧م وأعقبتها زلازل أخرى فيما بعد إلى أن قضت عليها زلازل ١١٥٧ و ١١٧٠م نهائيا. لقد أحصى كيرينيوس Quirinius في عهد القيصر اوغست عدد سكانها في العامين السادس والسابع ميلادية فكان ١١٧٠٠٠ نسمة من الرجال الأحرار القادرين على حمل السلاح والقتال، كما كانت الحرب سجالا بين الرومان والفرس للسيطرة عليها (٢٥٦م و٦١٨م، وفي جرش أيضا في عام ٦١٠م تغلب الفرس عليها واستردها هرقل إمبراطور بيزنطة منهم في عام ٦٥٧م وأصبحت من أهم مدن الغساسنة)، وتذكر الروايات التاريخية أن جنرال كسرى "ادارمانيس" اخذ منها ٢٩٢٠٠٠ أسيرا عام ٥٧٣م في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني.
- فتحها العرب المسلمون في عام ٦٣٦م وبنو جامعا فيها في عرض الشارع المستقيم (الكاردو) كما سيطروا على جرش أيضا. غير أن نقفورفوكاس أعاد احتلالها في القرن العاشر، وجاء الفرنجة فاحتلوها في طريقهم إلى القدس، و كانت الحرب سجالا بينهم وبين نور الدين زنكي حين كانت تابعة لامارة إنطاكية الصليبية، إلى أن حررها تماما نور الدين في عام ١١٤٩. أما جرش فقد احتلها في عام ١١١٨-١١٣١ بودوان ملك القدس وبنى حصنا في معبد ارتيمس ثم دمرها حين انسحب منها. وإن ملوك الفترة الأيوبية اهتموا بموقع أفامية فعمروا قلعتها (المعاصرة بعمارتها لقلعة حلب) وقد كانت أيضا موضع قتال مع الفرنجة.

وإذا كانت الأهمية الاستراتيجية تتناول الناحية الاقتصادية والتي لا نعرف الشيء الكثير عنها سوى أن الروايات التي تحدثت عن افامية وعن شهرة نبيذها المعروف ومذاقه المميز حين يخلط مع العسل.

أهميتها الفكرية

كانت مركزا وثنيا هاما إذ بني فيها معبد "زفس بيلوس" الكبير وجاء الإمبراطور سيتيم سفيروس يستشير كهانته وسدنته، فقد كانت فيها جالية يونانية ضخمة امتزجت بسكانها الأصليين، وتم التزاوج بينهم، و نشأ جيل جديد، كان اقرب إلى السوريين حضارة و لغة، وقد انتشرت بينهم اللغة الآرامية كما في جرش التي حمل بعض سكانها الآراميين أسماء إغريقية—اللغة الدولية آنذاك — وليس اليونانية التي كانت لغة الثقافة والأدب والعلم بينما اللاتينية لغة الحكم و الإدارة. حين جاءت المسيحية، كان المذهب الأفلاطوني الحديث سائدا ومزدهرا في أفامية بفضل "اميليوس" وكان لفلاسفته بتأثي المؤرخ أيضا رلون جين شهرة واسعة كما كانت المدرسة الرواقية منتشرة، ومن أعلامها في أفامية وبوزيد ونيوس.

اشتهر في تلك الفترة "اركاجين" طبيب الأمراض النفسية وعمل في روما خلال حكم تراجان ٩٨–١١٨ و"نومينيوس" أحد فلاسفة مذهب الأفلاطونية الحديثة، وأثره كبير فيما يعرف "بالكتب المقدسة" وكان يعتبر أفلاطون "كموسى يتكلم الإغريقية". وفي معبد أفامية الكبير تنبأ العرافون بمستقبل "جوليا دومنا" والدة إمبراطور روما المقبل "كارا كلا". أما في جرش فقد عرف حتى الآن من مفكريها "نيكوماخوس" وقد نبغ في علم الرياضيات.

في القرنين الثالث والرابع الميلاديين وحين انتشرت المسيحية استمرت الوثنية ونشأ صراع فكري وكارثي أحيانا بين المذهبين. دمر الأسقف مركيلوس معبد "زيوس بيلوس" في عام ٣٨٥م، ثم أعيد ثانية، ثم دمر مرة أخرى، وبنيت الكنائس إلى جانب المعابد القديمة التي اكتشفت في بدء أعمال التنقيب. وشارك أساقفة أفامية في عدة مجامع دينية والتي نوقشت فيها طبيعة السيد المسيح، وساد مذهب المونوفيزيت (الطبيعة الواحدة) في أفامية. ورغم ذلك كشفت الحفريات عن قطع فسيفساء رائعة كفسيفساء (سقراط والحكماء الستة) ويبدو فيها سقراط كأنه المسيح بين تلامذته وحواريه. كما كشفت فسيفساء "آدم" وإلى جانبها رمز المسيحية الممثل بالطير وحوله الهالة المقدسة.

وباختصار سادت المسيحية في المدينة حين اعترف بها تيودوسيوس ديانة رسمية، بينما بقي الريف وثنيا، وكانوا يسمون أفامية "مدينة زيوس المحبوبة". ومن الأهمية بمكان أن ينقب عن فسيفساء في مبنى ديني مسيحي يتم التعبير عن الأفلاطونية الحديثة فيها برموز مسيحية أو رموز وثنية مرتبطة بالمذهب الأفلاطوني الحديث (مثل مسابقة الجمال)، مهما يكن كانت بؤرة نشطة للأرثوذكسية ضد المونوفيزيت، كما كانت مركزا للمونوفيزيت بعد عقد المجامع الدينية وبنيت فيها كنائس متعددة على أنقاض المعابد كما في جرش حيث أصبحت اكثر المعابد فيها كنائس.

أهميتها في العصور الحديثة: بعد زلزالي ١١٥٧م و١١٧٠م وتدمير أفامية دخلت في طي النسيان ورغم ذلك فقد استمر الموقع في لعب دور هام إذ سكنت القلعة الجاثمة فوق اوكروبول المدينة وبني خان لتأمين المواصلات قرب الموقع القديم للمدينة في بداية الحكم التركي العثماني في القرن السادس عشر أي ١٥٢٥م وبانيه "محمد آغا قزلار" و بنى جامعا بالقرب منه، وتبين أن حجارة المبنيين أخذت معظمها من حجارة المدرج القديم لمدينة أفامية، وحين بدأت أعمال التنقيب وبدأت معالم المدينة تظهر، رمم الخان ومساحته ٨٠×٨٠م وفيه أربعة أروقة مسقوفة وفي وسط الباحة درج يؤدي إلى نبع ماء، جمعت فيه اللقى الأثرية، وخاصة لوحات الفسيفساء الهامة كلوحة سقراط ولوحة مسابقة الجمال ولوحة الامازونات وغيرها، وهي من أهم اللوحات الفسيفسائية المكتشفة في المنطقة وشمال القطر العربي السوري، ويعتبر اليوم اكثر خانات الطرق حفظا في العالم بعد أن رمم جيدا.

٢. أفامية (الموقع)

الموقع: يعود في بدايته للعصر الحجري كما اكتشف في الاكروبول وكذلك موقع جرش الني اكتشفت فيه أدوات صوانية، كما اكتشف فيه خارج أسوار المدينة إلى الشمال سويات عصري البرونز والحديد.

المساحة: تقدر مساحة موقع مدينة أفامية بين ٢٢٠ و ٢٣٠ هكتارا على هضبة قليلة الارتفاع شبه محصنة، يضم المدينة المؤلفة من شارع رئيسي (كاردو) وشوارع عرضية متقاطعة على شاكلة رقعة الشطرنج، وهو التخطيط الهيبودامي المعروف، كما يضم أوابد متعددة يصل تعداد ما اكتشف منها حتى الآن ٢٥ أبدة، تشكل شبه جزيرة بجانب نهر العاصي، وأبرز ما فيها اكروبول المدينة وعليه القلعة العربية ثم المدرج. لقد كانت مدينة كبيرة، وتأتي في الأهمية بعد إنطاكية.

السور: ويحيط بمدينة أفامية بطول سبعة كيلومترات وسبعة أبواب يتجه كل منها إلى مدينة هامة في المنطقة إنطاكية وأوديسا (اللاذقية) ولاريسا (شيزر) وابيغانا (حماه) وتدمر واسريا (سريانا) وخلقيس (قنسرين). حتى أن اوكروبول المدينة (فوقه قلعة المضيق الحالية) كان جزءا من السور، ارتفاع السور ١٠ أمتار وعرضه ٢٤٠ سم يدعمه نحو مائة برج وقد تبين أن أساسات السور هي هللينية، ثم رومانية، و أخيرا في قسمها الأعلى بيزنطية أي في القرن الخامس الميلادي وقد رممت في عهد الإمبراطور جوستنيان وخاصة الأجزاء المجاورة للبابين الشمالي والجنوبي، كشف السور دفعة واحدة من قبل موظفي المديرية العامة للآثار والمتاحف مجتمعين في عام ١٩٨٤، وتبين أن الأبراج العريضة هللينية التصميم و البناء ، بينما الأبراج الأصغر حجما و المدعمة فهي تعود إلى العصر الروماني والمسافات بينها تقدر بنصف المسافات بين الأبراج الهللينية، و لقد بني السور بعد تأسيس المدينة أي حوالي ١٩٩ ق. م. و خلال كشف الأسوار تم الكشف عن ١١٠ نصب وشواهد جنائزية استخرجت من أحد أبراج السور الشرقي أي في البرج رقم ١٥ من بداية الباب الشرقي.

الباب الشمالي: لقد كشف في جرش حتى اليوم البوابة الشمالية في نهاية الشارع الممتد وقد بنيت باسم تراجان عام ١١٥م، بينما بنيت البوابة الجنوبية (بوابة عمان وتدعى قوس النصر في عام ١٢٩–١٣٠

لدى زيارة الإمبراطور هادريان، بينما لا يزال الباب الشمالي قائما في أفامية ولكنه أنقاضا بعد الزلازل، بينما زال باب القسم الجنوبي منذ فترة طويلة، أما الأبواب الأخرى إذا وجدت فستكشف ضمن أعمال الترميم المستمرة إلى اليوم.

يتألف الباب الشمالي في أفامية من قوس نصر ذي فتحات ثلاث ويعود إلى القرن الثالث للميلاد فقد بني بعد زلزال ١٣ كانون الأول ١١٥ ميلادية، وجدد جزئيا في القرن السادس الميلادي وأضيفت واجهة جديدة إليه على واجهته الجنوبية، لا يزال معظمه حتى اليوم أنقاضا، وسيكون المشروع المقبل لأعمال الترميم.

الشارع الرئيسي (الكاردو): ويقدر المنقبون في أفامية طوله حوالي كيلومترين، بعرض ٣٧,٥ مترا، منها ٢٠,٥ للطريق والباقي للأروقة ويحلو لبعض الباحثين تشبيهه "بالشانزليزيه". كان عدد أعمدته حوالي ١٢٠٠ عمودا بين العمود والآخر ٣ أمتار، خطط هذا الشارع ليكون العمود الفقري للمدينة وكأنه موازيا للجبال الساحلية المجاورة، تحيط به مساحات عقارية مستطيلة ناتجة عن تقاطع ١٦ شارعا تتجه من الشمال إلى الجنوب مع ١٦ شارعا تتجه من الشرق إلى الغرب، وهو هلليني التخطيط على طرفيه تقوم الأعمدة، ويأتي وراءها صفوف من المخازن والمداخل للأبنية العامة القريبة من الشارع والشوارع الفرعية إذ بعد كل ٣٤ عمودا يتفرع شارع جانبي. نجد الأمر نفسه في مدينة جرش وتخطيطها الشبكي وخاصة وجود المصلبات (التترابيل) وهذا لم نكتشفه بعد في افامية.

بعد زلزال ١١٥ ميلادية في أفامية أقيمت الأعمدة على الطراز الروماني في عهد الإمبراطور تراجان ١١٧/١١٦م، أما القطاعات الجنوبية منه فتعود إلى القرن الثاني الميلادي في عهد سبتموس سفيروس، ثم رمم الشارع مرة أخرى بعد زلزالي ٥٢٦ و٥٢٨م، ورمم بلاط الأرصفة أيضا فوق ردميات وصلت إلى سماكة ٣٠ إلى ٥٠ سم خصصت للمشاة. وفي القرن السادس الميلادي منع سير العربات على الشارع الرئيسي واستعيض عنها بالسير في الشوارع المستعرضة. ومن الجدير ذكره أن شارع جرش الممتد بطول ٨٥٠م وعرض ٦م وكان فيه ٥٧ عمودا من اصل ٥٢٠، إلى جانب الشارع في أفامية وغير بعيد عنه بنيت الحمامات (أول من حدد شكلها النهائي المعمار ابولودور الدمشقي حين بناها في روما للإمبراطور تراجان) وقد وجد على مدخلها الذي يشكل جزءا من الشارع كتابة مكرسة لصحة الإمبراطور تراجان مقدمة من يوليوس أغريبا سليل الملكات الهللينية [1] ومن المعروف أن أغريبا أول من أنشأ حمامات عامة في روما حملت اسمه والمعروف انه كان وزير أغسطس.

لا تزال بقايا الأقسام الثلاثة للحمام قائمة في أفامية وبعض المغاطس والأفنية من الطين المشوي، كما حفظت الحنية، ولكن نظام Hypocaustes (دورة الهواء الساخن) قد دمر، وبقيت أقنيته في الجدران قائمة، ولم تكشف أقنية إيصال الماء للحمام، ولكن من المعروف أن أفامية التي كانت تعوزها الماء قد عملت على جلب المياه النقية من مناطق بعيدة تتعدى ١٢٠ كيلو مترا رغم وجود نهر العاصي بجوارها، وقد كشف قسم من الأقنية الواصلة إلى الباب الشمالي. لقد تبين وجود أعمدة تذكارية قائمة في عرض الشارع (الكاردو) و قد اكتشف إحداها وأعيد نصبه في عام ١٩٦٩ وهو بارتفاع ١٤ مترا ألحق به رصيف لجلوس المتنزهين Exedra، وقد تبين أن هذا العمود المقام في الربع الأول من الشارع المستقيم (اعتبارا من الباب الشمالي للمدينة ـــ باب إنطاكية) كان يدل على مفصل لشبكة الطرقات، وقد اكتشفت القاعدة فقط لعمود تذكاري آخر وموقعه في منتصف الشارع، ويحيط به رصيف لجلوس المتنزهين، وما يشبه الأعمدة التذكارية فقد وجدت في محيط الشارع دعامات مزخرفة أهمها الدعامة الباخوسية وقد اكتشف في عام ١٨٤٦ من قبل أحد الرحالة واسمه تومسون وهي عضادة لقوس لمنفذ إلى شارع عرضي، عليها نقوش ميثولوجية تمثل عذاب ملك ليكورغوس الذي عارض الإله ديونيسيوس. أخيرا و بالقرب من الشارع العرضي الرئيسي (ديكومانوس) وجدت أطلال أل "نيفة" "سبيل حوريات الماء" (أما النيفة في جرش فقد بنيت عام ١٩٠م زمن الإمبراطور كموديومس وبقربها بنى هيكل مكرس لعذارى فستا)، و يتجاوز قطر حوض حوريات الماء في أفامية ١٥مترا محاط بمحاريب كان فيها تماثيل مرمرية لأثينا وأفروديت وغيرهما، له واجهة من المرمر الأصفر وأرضيتها على شكل الشطرنج مكسوة بمرمر وردي وأخضر وكان عليها قبة تحيط بها ثمانية دعامات كبيرة، وفيها مجاري تغذيها بالماء من حوض مستطيل بجوارها، إلى جانب حوض حوريات الماء كانت توجد المراحيض العامة فيها من ٨٠ إلى ٩٠ كرسي ولها قبة، وحول البناء أربعة أروقة مكسوة بالفسيفساء.

في محيط الشارع المستقيم قامت عدة أبنية عامة هامة في أفامية، ومن أهمها الأغورا أي الساحة العامة أو "الفوروم" مدخلها الرئيسي

---

١. نص كتابة لوحة الحمامات باسم اغريبا: "له حقوق أجداده جميعها واستثناء خاص بشأن الطقوس الدينية، وكل الأمجاد الأخرى المسجلة على ألواح البرونز في الكابيتول بروما، لقد أنجز أعمالا هامة من أجل وطنه وطقوسا دينية، كان قسيسا، وكان حاكما مكلفا بمراقبة السوق بشهامة ومروءة. وأشرف على توزيع القمح خلال ستة أشهر بدفع مبلغ قدره عشرة دنانير فضية. لقد قدم الزيت للدهن به. وأنشأ القناطر مسافة عدة أميال. وكان أمين سر المدينة متخذا أسلوبا غير عادي، وطالب بذاته أن تكون الإجازة لمدة عام، واختار بنفسه زملاءه في القضاء، وفي العام ذاته كان مفوضا للسلام، ومسؤولا عن توزيع القمح. وقد أنشأ الحمامات والرواق الذي يتقدمها على الشارع والبازيلكا التابعة لها مانحا الأرض من ماله الخاص، واقفا اعمالا برونزية في هذه الحمامات "مجموعة تيسيوس والمينوتور ومجموعة أبولو وأولمبوس ومارسيا والسيكيتي".

وقد تطوع بالقيام بسفارات لدى الأباطرة والحكام. وكان له من جهة أمه وأبيه أجداد شرفاء وكرماء ورؤساء ولايات وأشخاص لهم نصيب بألقاب الشرف الملكية، ومن بين هؤلاء: ديكساندروس جده الأكبر أول كاهن كبير في الولاية. ونظرا لصداقته ووفائه للشعب الروماني فقد سجل صديقا وحليفا على ألواح البرونز في الكابيتول، من قبل أغسطس المعظم، وعلى هذه الألواح ذكرت أيضا بقية ألقاب الشرف الاستثنائية الممنوحة له ولعائلته. ومن بين هذه الألواح الخلاصة المحفوظة هنا في الوثائق.

"السنة ..... شهر كساندكوس اليوم ٢٨ من قبل مدينتنا وطبقا لقرار المجلس والشعب فقد منح ديكساندروس لقب شرف في شهر بيريتيوس-اليوم الثالث قبل نهاية الشهر في هذا القرار"

من الجهة الشرقية المطلة على الشارع الرئيسي بعرض ٤٥ مترا، تمتد الساحة شمالا بطول ١٥٠ مترا ومحاطة بأعمدة جميلة ضخمة طرازها شرقي وعددها ستة أعمدة، بنيت بعد زلزال ١١٥م وانتهى بناؤها في عام ٢١٨م، وجدت فيها كتابة تنص على إهداء إلى جوليا ميزا والدة الإمبراطور الروماني إيلاغابل، لم تكتشف بشكل كامل حتى اليوم، ولكن تبين أنها تنفتح على أكبر معبد في أفامية معبد زفس بيلوس أكبر المعابد وأضخمها علما بأن أفامية كانت تعد "مدينة زفس وحبيبته" وهو رائد الثروة ومعلم الفكر.

ومن الأبنية الهامة-قصر الحاكم؟ Triclinos أوTriclinium، وقد كشفت فيه غرفة لها ثلاث مصاطب حجرية على شكل حذوة فرس، أشبه بالمقاعد أو بالأسرة، والقاعة الرئيسية فيها غرفة طعام أو غرفة اجتماعات.

أما البيت ذي حوامل الإفريز فقد رمم عام ١٩٧٧ ومساحته تقدر ٢٠٠٠ متر مربع، بني في المرحلة التي توسعت فيها مدينة أفامية أي في القرن الثاني الميلادي، رمم بعد الهزات الأرضية في القرن السادس، له مدخل متعرج، وفيه باحة تحيط بها الأعمدة مساحتها ٦ × ٩م مزود ببهو طابقي يشبه إيوان الساسانيين أو بيوت حلب التقليدية، وهناك ثلاثة أبواب تفضي إلى القاعة الرئيسية لاستقبال الضيوف، مبلطة برخام ملون وفيها حوض ماء، لم يستمر هذا البيت أكثر من القرن السابع الميلادي، إذ لم يجد المنقبون فيه نقودا عربية اعتادوا رؤيتها في تلك الفترة (أقيمت أهم الأبنية في جرش بين عامي ٧٥-٧٦م ولتكريم الإمبراطورين تراجان ١١٥م وهادريان ١٢٩م علما بان عددا من المعابد كمعبد زيوس في جرش بني بين عامي ٢٢-٢٣م).

أما البيت ذو الأعمدة البارزة فهو بالقرب من البيت السابق جنوباً منه، رمم أكثر من مرة واستمر وجوده حسب اللقى الأثرية المكتشفة فيه حتى القرن العاشر الميلادي، فيه بهو مبلط، إلى شماله قاعة رئيسية بثلاثة أبواب، وعرض منصته ٢٤٥م.

أما المسرح فقد بني قرب السور الهلليني الأول لمدينة أفامية، نموذجه روماني يعد من أكبر المدرجات في الشرق قطره ١٣٩مترا وعرض منصته ٢٤٥م (مسرح أورانج في فرنسا قطره ١٠٣م) (قطر مسرح بصرى ٩٠م) تحول إلى حصن في العصور الوسطى في القرن الثاني عشر كما تدل الكسر الفخارية. وكما جرى في مدرج بصرى الشام لم يكتشف بالكامل، ومن المعروف أن أكثر حجارته قد نهبت وبني منها الخان والجامع في الفترة العثمانية، وقد استعمله نور الدين زنكي قاعدة عسكرية لينطلق منها لمهاجمة القلعة العربية (قلعة المضيق) ويخلصها من أيدي الفرنجة عام ١١٤٩م (بينما حفظ المدرجان في مدينة جرش بحالة جيدة ويدل وجود المدرجين معا على أهمية المدينة).

أما المقبرة فلم يتم حتى الآن سوى اكتشاف مدافن خارج الأسوار، مقابل الباب الشمالي المعروف "باب إنطاكية" وقد حصل المنقبون فيها على عدة تماثيل، وعشرات من شواهد القبور، ويظهر أنها أخذت منها ودعمت بالسور كما ذكرنا أعلاه، وهي تعطينا معلومات تاريخية قيمة عن أفراد الفيلق البارتي الذي كان متمركزا في مدينة أفامية في أوائل القرن الثالث الميلادي، فضلا عن معلومات عن اللباس والأسلحة وغير ذلك.

الآثار المسيحية

- الكاتدرائية: تشبه إلى حد ما كنيسة مار سمعان، أصبحت كاتدرائية في القرن السادس، وغطت بمساحتها البالغة ١٢٠٠٠متر مربع قسمين من مخطط المدينة وتفضي إلى الشمال برتاج ضخم يتقدم حتى الشارع، و يستقبل الزائر للكنيسة بثلاثة أقواس تتقدم النرثكس المبلط. وفي وسط النرثكس نرى كتابة محفورة على بلاط وردي لتدشين التبليط "في أسقفية بولس سنة ٥٣٣" ويلي النرثكس فناء فسيح تحيط به أروقة من ثلاث جهات، يقود إلى الكاتدرائية، ويتميز البناء بأربعة تفرعات يمتد أحدها إلى الشرق مشكلا معبدا طويلا ويدفعنا هذا التصميم الأول الذي يعود على الأرجح إلى القرن الخامس بتفرعاته الأربعة مع قبة في الوسط، إلى اعتبار الكنيسة مقاما أو دارا للشهداء (مارتيرون) شيد من دون ريب ليضم ذخيرة عود الصليب التي كانت تمتلكها أفامية، وقد روعي في تصميمه ما يترتب من خدمات على الكنيسة التي يؤمها الحجاج.

بعد الزلزالين المتعاقبين اللذين ضربا المدينة وكذلك إنطاكية عام ٥٢٦ و٥٢٧ حوّل البناء إلى كاتدرائية تحت إدارة المتروبوليت بولس المثقف والمولع بالفن، و قد تطلب هذا التعديل إصلاحات هندسية هامة، سد التفرع الشرقي الذي كان يشكل معبدا بحنية ضخمة فيها ثلاثة نوافذ مرتفعة، وإلى أسفل الحنية ركزت مقاعد الكهنة على شكل نصف دائرة، يتوسطها مدرج مهيب يقود إلى عرش رئيس الأساقفة، وإلى الأمام قاعدة كبيرة من المرمر الوردي المضلع انتصبت عليها أعمدة القبة التي تعلو المذبح، ثم صفان من أربعة أعمدة تقسم صحن الكنيسة تحت القبة الكبرى إلى ثلاثة أسواق وقد جعلها هذا التغيير كنيسة متروبوليتية، مع الاحتفاظ بالمارتيربون في الوسط وتفرعاته التي استخدمت كأروقة/ أسواق.

كانت زخرفة البناء كلها غنية جدا، وقد أنجزها رئيس الأساقفة بولس، ووجدت هناك كتابات يونانية تدل على أن هذا الأسقف أمر بتيجان أعمدة رواق الكاتدرائية الداخلي وبالتبليط الفسيفسائي الجميل في معظم أرجاء الكاتدرائية وتوابعها، وبالفسيفساء الرائعة ذات الألوان الثرية، وهي مربعة الشكل ضلعها ٦,٣٠م وقطر الصورة في الوسط ١,٢٧م وقد اكتشفت سنة ١٩٧٢ في الزاوية الجنوبية الشرقية من البناء ذي الأذرع الأربعة، وتشير إلى الخلافات اللاهوتية في تلك الحقبة بين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين.

- الدار الأسقفية وملحقاتها: لما كانت الكاتدرائية مركزا لرئيس الأساقفة أيضا، فقد أحاط بها من المباني ما يلزم لإدارة كنسية كبيرة، فهناك قصر أسقفي حقيقي ينبسط إلى شمال الكاتدرائية وغربها، وينتظم حول مجموعة من الباحات والممرات، يضاف إلى ذلك مجمعان للمعمودية، بنيا على الأرجح في أزمنة مختلفة الأول خصص للعماد بالتغطيس،

وهو ملحق بمعبد الشهداء، ضمت الحنية الشرقية منه جرن التغطيس والحنيتان الجانبيتان الذخائر المقدسة، والآخر إلى الجهة الجنوبية الشرقية من حنية الكاتدرائية، خصص للعماد بالرش، وتتقدمه قاعدة كبيرة لها مقاعد يجتمع فيها الموعوظون لدى تهيئتهم للعمودية.

أما المعبد الواقع إلى الشمال فهو في الحقيقة مدفن، وقد عثر فيه على ١٣ ضريحا على الأقل، وكان المعبد الجنوبي مكرسا على الأغلب للعبادة، يزينه تبليط فسيفسائي لا يزال القسم الأكبر منه قائما حتى اليوم، ويرى أيضا في ذلك الموضع ركيزة المذبح وبعض أقسام من بلاطات مقاعد الحنية.

وعلى هذا النحو كان مجمع أفامية الأسقفي ومثيلاته في جرش يشكل واحدا من أهم المجمعات الهندسية في الشرق المسيحي.

- الكنيسة ذات الباحة: دعت الحاجة بعد الزلزالين في سنة ٥٢٦ و٥٢٨ إلى ترميم كنيسة أخرى ترميما كاملا في الحي الجنوبي من المدينة. فوسع البناء الوضيع العائد إلى القرن الخامس بإضافة سوقين إلى جانبيه، ورفع مستواه بإقامة شعريات وذلك نادر في الشرق وزيد في طوله ببناء حنية كبيرة طالت الشارع الخلفي، وتتقدمه باحة كبيرة " ومنها جاءت التسمية" وهذا الفن الهندسي النادر في سورية يشير إلى تأثير مهندسي القسطنطينية المباشر وقد أوفدهم شخصيا الإمبراطور "يوستنيان" ليرفعوا من الأنقاض تلك الكنيسة الحاوية ذخائر القديسين: قوزما وداميانوس والقديس ثيودوروس وقديسين آخرين. وكان الحجاج يسكبون الزيت من قمع مثبت فوق غطاء الصندوق، و يجمعونه في قوارير وأنابيب صغيرة من جنب الوعاء بعد مروره على الذخائر.
- الكنيسة المستديرة: تقع هذه الكنيسة المستديرة في وسط المدينة. هنا أيضا باحة فسيحة تحدها أروقة من جهات ثلاث تتقدم البناء، وهي كناية عن كنيسة ذات مخطط محوري، ترقى إلى عهد الإمبراطور يوستنيانوس، إلا أنه لم يبق منها إلا القليل، ومع ذلك يمكن الاطلاع بسهولة على القاعدة المستديرة للأعمدة وعلى مخطط المبنى العام، وهي شبيهة بكنيسة السيدة العذراء في بيسان (سيتوبوليس) في فلسطين. والمعضلة التي يواجهها الباحث هنا، كما في تلك الأبنية من الطراز نفسه، هي كيف كان من المستطاع أن تسقف مساحة مستديرة لا يقل قطرها عن ٢٥ م؟ ومن المعضلات الأخرى وجود رواق مماس للدائرة الوسطى يفصلها عن الحنية المركزية، مشكلا بذلك نمطا فريدا في الهندسة المسيحية القديمة في تلك المناطق. أما قدس الأقداس فكان مرتفعا يرقى إليه بدرجين صغيرين يصعدان من جانبي مقدمة الحنية.
- بازليك: وحيدة في هندستها فهي مربعة الشكل ومحاطة بأروقة وأعمدة، تقع قرب المدرج، فيها فسيفساء بيزنطية جميلة من سنة ٥٣٩ أودع قسم منها المتحف الوطني بدمشق، والقسم الآخر أرسل إلى متحف بروكسيل في بلجيكا.
- كنيسة الشهداء: في موقع كنيس يهودي من نهاية القرن الرابع (فيه فسيفساء من سنة ٣٩١) نهب و حرق وعلى أطلاله شيدت كنيسة في القرن الخامس، عثر فيها على صناديق ذخائر مع كتابات من القرن الخامس والسادس، وصندوقين محفورين في الصخر لعظام القديسين قوزما ودااميانوس، وآخر للقديس ثيودوروس، وآخر لشهداء سبسطية الأربعين، وأخير لشهداء غير معروفين.
- البازليك الشرقية: بنيت في موقع روماني مزين بفسيفساء، حيث وجد صندوق ذخائر من المرمر الوردي.
- البازليك الشمالية: كنيسة كبيرة تقع خارج الأسوار في شمال المدينة على مسافة ٥٠٠م من بوابة إنطاكية في شمال شرقها، لها ثلاث قناطر متلاصقة، منقسمة إلى تسع فتحات، يتقدمها نرثيكس، بقي منها بعض الآثار، وبقربها دير قديم.
- كنائس وأديرة: هناك أولا مصلى خارج المدينة يقع في الحقول وعلى مسافة ٤٠٠م إلى الشرق، له علاقة بالمدافن، بقي منه الحنية فقط. وهناك كنائس أخرى كما تثبت الخرائب في مواقع عديدة من المدينة.

- القناة: طولها ١٢٠كم آتية من بلدة سلمية الحالية تغذي آبار أفامية، وينابيعها مجهولة، تدخل المدينة في نفق مدت فيه اسطوانات حجرية ضخمة قطرها الداخلي ٥٠سم والخارجي ٩٠سم تتفرع منها قساطل فخارية توزع الماء في المدينة.

القلعة: وتعرف دائما باسم "قلعة المضيق" تقع فوق تل كبير تشرف على سهول الغاب ووادي العاصي. كانت تسمى قديما حصن أفامية لقربها من موقع أفامية المدينة المشهورة. وقد شهدت القلعة معارك حامية الوطيس بين الروم البيزنطيين والحمدانيين. وفي عام ٤٢٢هجري استولى البيزنطيون على القلعة وأسروا حاميتها. وفي عام ٤٧٥هجري دخلت القلعة في حوزة الملك السلجوقي "ملك شاه بن ألب ارسلان" وبعد ذلك استولى عليها الإفرنج بقيادة تنكريد أمير إنطاكية.

كان يحيط بالقلعة خندق عظيم وقد رصف منحدر التل بحجارة منحوتة على غرار قلعة حلب، وقد أعاد بناءها نور الدين زنكي عام ١١٥٨م لتشكل خط دفاع على طول وادي نهر العاصي وهي ذات أبراج ضخمة.

الخاتمة

تولي المديرية العامة للآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية عناية كبيرة للقيام بأعمال الترميم في موقع أفامية، كما تقوم البعثة الأثرية البلجيكية و"سلسلة فنادق الشام" بتقديم الدعم المالي أيضا لاعمال الترميم، وهكذا ترتفع عشرات الأعمدة كل عام.

إحسان عرسان الرباعـي
جامعة اليرموك – كلية الفنون الجميلة

إحسان عرسان الرباعـي

إستراتيجية المكان والزمان في قصير عمرة

المقدمة

من وجهة نظر علم وعلماء الآثار عامة فإن تاريخ الإنسان الثقافي بدأ من اللحظة التي أستعمل فيها الإنسان أو صنع من مادة خام أداة تعينه على مواجهة متطلبات الحياة الأساسية من سكن أو معيشة أو غيرها، وبقيت هذه المادة بعده لتكون أثراً دالاً على تجربته ومؤرخاً لعصره.

ويشبه الحال في علم الآثار، علم الإنسان الذي يهتم بدراسة الجماعة أو المبنى أو القرية أو المدينة ليس فقط لتكوين المعلومات الأساسية عن هذه الجزيئات ولكن الأهم من ذلك هو الارتقاء إلى بلورة مفاهيم وقواعد ثابتة شبيهه بالقوانين في العلوم الحرة عن أسس وتكوينات تلك الظواهر عامة وعلائم اختلافاتها في المكان والزمان، فالحال في علم الآثار يطبق هذا المنهج في دراسات المجتمعات والثقافات القديمة على أساس الشمولية في التعبير عن استنتاج حقائق هامة من دراسة موقع معين أو بيئة أثرية ما ومثل هذه الدراسات لموقع أو مبنى معماري أو أثر يعني الوصول إلى استنتاجات مفاهيم عامة عن الثقافة والمجتمع في ذلك الوقت (مصري ١٩٨٨: ٨–٩).

لقد جاءت هذه الدراسة من خلال هذه المخلفات بالاستعانة بكل الوسائل والأساليب والعلوم حول (قصير عمره في الأردن) بالاعتماد على آراء المؤرخين والآثاريين والفنانين النقاد وصولا إلى استنتاجات موضوعية، فالمؤرخون من هذه الزاوية يمكن اعتبارهم آثاريون متخصصون في دراسة مخلفات الإنسان المكتوبة، وكذلك الفنانون النقاد فهم يدرسون الشكل والخط واللون والإيقاع والانسجام والتصميم وبالتالي (التكوين) أو ما يسمى بلغة الإبداع الفني بـ(الشكل والمضمون). وتختلف هذه عن غير المكتوبة في أن الأولى هي ما ارتأى أن يقدمه لنا الوسيط الذي هو(المؤرخ) بالشكل والحجم واللون والنوع الذي أراد، بينما الثانية هي شواهد حية وصادقة مباشرة، فالتدقيق في المعلومات قبل جمعها، واستخلاص أكبر قدر من المعلومات، وتحليل المضامين وتفسيرها ومناقشتها وإبراز جمالها وإبداعاتها هي مهام المؤرخ وعالم الآثار والفنان الناقد على التتابع وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة لإستراتيجية المكان والزمان في بناء قصير عمرة بالأردن، إذ أن قصير عمرة هو تاريخ مكتوب، وأثر مبنى ومنقوش، وصرح إبداعي وعمل فني جميل، أنه شاهد حضاري على قيمة المكان والزمان.

وينبغي لدارس آثار وتاريخ البلدان العربية في عهد الخلافة الأموية (٦٦١–٧٥٠) أن يذكر أو يتذكر هذه الحقيقة، وهي أن كتابة التاريخ العربي الطبيعي تعكس في هذه الكتابات التاريخية ميول العباسيين الدينية والسياسية. ففي هذه المصادر موقف متميز مقصود ضد الأمويين، بينما يعتبر المؤرخون العباسيين أسرة حاكمة باركها الله سبحانه، تراهم يرون في الأمويين حكاماً دنيويين.

إلا أنه في المصادر الحديثة العهد هناك من حاول إنصاف الخلافة الأموية بموضوعية أمثال الباحث فلهوزن (Welhosen) والأب لامنس، الأول وضع كتابة الدولة العربية وسقوطها رغم ورود بعض الأغلاط في التاريخ الاقتصادي أحيانا. والثاني له كتب قيمة عن الأمويين من أهمها بالفرنسية

– دراسات عن عهد الخليفة الأموي معاوية الأول (٣) مجلدات.
– دراسات عن عهد الأمويين.
– ومجموعة مقالات في الموسوعة الإسلامية.
– وجزء من كتاب تاريخ سوريا– وغيرهم كثير.

وما هذه الدراسة الموضوعية التي أشارك بها عن استراتيجية المكان والزمان في قصير عمره بالأردن إلا إسهاماً متواضعاً في التأكيد على موضوعية البحث ونزاهة التحليل والدراسة لهذا المعلم الهام في أرض المملكة الأردنية الهاشمية والذي يعتبر أكثر مبنى أثري يحافظ على شكله وتصميمه حتى هذا التاريخ والذي يعتبر واحد من عشرة من المباني التي توصف بأنها كانت فريدة على أي نحو (وبوزورث ١٩٨٨: ٣٧٨–٣٧٩). حاولت هذه الدراسة بأسلوب جاد الكشف عن أن المكان أجدى لأنه يعطينا فكرة عن طبيعة البيئة والحياة الاجتماعية والثقافية المرتبطة بذلك المكان على اعتبار أن العلاقة بين المكان والزمان علاقة وجودية فلا زمان دون مكان ولا حركة للمكان دون زمان. واستعملنا كلمة (استراتيجية) للتعبير عن التصور المكاني للزمان باعتبارها مشروع لإيجاد مقياس أكثر تجسيد وتجسيم لزمن يتسم بالتضخم والجمود، فعندها تتضح مسائل التصميم والتخطيط، ومسائل الإبداع الفني والجمالي، ومسائل المضمون والأفكار، ومسائل التقنية والأساليب في عمارة قصير عمرة.

الاكتشاف المكاني لقصير عمرة

إن ذكر المكان أجدى لأنه يعطينا فكرة عن طبيعة البيئة، والحياة

الاجتماعية المرتبطة به. اتسمت الشام الأموية التي كانت منطقة استيطان عربي كثيف، بتطوير عدد من المواقع إما في مواضع المدن القديمة، أو في المناطق الريفية القديمة، التي أعيد استثمارها. كانت هذه المواقع المعروفة بفضل آثارها المكتشفة حديثاً تتوزع على طول طرق المواصلات المطابقة لبعض الطرق الرومانية القديمة أو لبعض مسالك الصحراء، التي كانت تتمتع بأهمية استراتيجية واقتصادية في الوقت نفسه، ويتميز معظم هذه المواقع بقصور الأمويين التي يسكنها أعضاء الأسرة الحاكمة والأرستقراطية المسلمة. حيث أولى الخلفاء الأمويون هذه المنطقة أهمية خاصة، حيث أقاموا فيهما العديد من القصور، كدليل واضح على الرخاء والاستقرار اللذين تميز بهما الحكم الأموي (الرشدان ١٩٩٤: ٢٥)(**الشكل ١**). وإيماناً من الدولة الأموية بدور القبائل في مساندتها ودعمها قامت ببناء مثل هذه المنشآت كسباً للمواقف، حيث استندت الدولة الأموية في قيامها إلى مساندة القبائل العربية التي استقرت في شرق الأردن وسوريا وفلسطين والتي كانت تؤلف أفضل الوحدات المقاتلة (بيلياف ١٩٧٢: ٢١٢) ومن المرجح أن يكون هذا القصر من القصور التي عنى الأمويون ببنائها لأسباب سياسية واجتماعية (الباشا ١٩٥٩: ٤٩) ولذلك أن بناء قصير عمرة كان عملاً هاماً في أن ينظر أهل المنطقة إلى الحكم الأموي نظرة مودة وتقدير، لأن حكمهم كان عملاً في تقدم عمران البلاد وزيادة الإنتاج فيها (بيلياف ١٩٧٢: ٢١٥). إذ كان الأمويين يجسدون السيادة العربية في البلدان التي كانت الخلافة الأموية تتألف منها ـــ كما أشار فلهوزن إلى ذلك ـــ كما أن طبيعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على الخلافة في عهدهم أسفرت عن انتصار العلاقات الاستراتيجية بين شعوب الدولة العربية؛ كما أن تولي الأمويين السيادة السياسية والعسكرية كان بمثابة مرحلة انتقال في تاريخ المجتمع الذي ضم أمم متعددة في البلدان العربية في العصور الوسطى (بيلياف ١٩٧٢: ٢١٠-٢١٢) فكان قصير عمرة هو واحد من عشرة من المباني الأموية التي توصف بأنها كانت فريدة على أي نحو (وبوزورث ١٩٨٨ : ٣٧٨-٣٧٩).

وحول أهمية هذا القصير يقول وبوزورث: إن تلك المنشآت كانت كلها ذات أنماط متشابهة فإن معرفتنا بها تجمعت من أنواع شتى من الأصول. فلدينا من ناحية قصور بني أمية في بادية الشام، التي لم نعرفها إلا عن طريق الحفائر الأثرية. ولدينا في الطرف المقابل تلك المباني التي أقيمت في بغداد والتي لا يعرفها إلا من النصوص (وبوزورث ١٩٨٨: ٣٨) وهذا يعني أهمية واستراتيجية المكان والزمان معاً، فقصير عمرة بمكانة وزمانه يعني معلماً من معالم الحضر والإقامة فيه تتميز أساساً بالاستقرار الذي يتطلب تنظيم المجتمع بين أفراده (المعتدي ٢٠٠٢: ٢٤-٢٥). أن بناء هذا القصر والإقامة فيه ربما لأسباب مجتمعة يمكن تحديدها بـ

- عدم الفتهم التامة بحياة المدينة التي كانت متأثرة بالحضرية السالفة، وبسبب اشتياقهم وحنينهم إلى حياة البداوة كانوا يحرصون على الإقامة فيها من حين لآخر وهو رأي غير جازم حيث لم تكن صحراء في تلك الفترة (الريحاوي ١٩٩٩: ٤١).
- رغبة الخلفاء في التقرب من أهل البادية وكسبهم على الدوام حيث كان الاتجاه في بناء هذا القصير نحو القرب من السيول والوديان وحول موارد المياه، والبئر العميق في قصير عمرة يدل على ذلك (دومنيك ١٩٨٠: ٤٢). إضافة إلى توفر المواد الأولية من حجارة ورخام دقت بشكل متقن.
- سعى الخلفاء إلى الهدوء والراحة في الأماكن الجديدة، والاستمتاع بالصيد.
- البادية مدرسة مهمة للأمراء الأمويين لتعلم اللغة الفصحى، وابن عبد ربه يقول (..وهكذا ما كانت تفعله زوج معاوية بابنها يزيد ولي العهد الذي تعلم في البادية قرض الشعر والصيد والفروسية...).
- وثمة سبب أخير هو توالي الأوبئة والأمراض على المدن كمدينة دمشق وغيرها. إضافة إلى كون هذا المكان آمن أمام الحملات المختلفة حيث كانت مثل هذه المناطق ملاذ آمن لا يستطيع جيوش الأعداء الدخول إليه، إذ تقع ضمن التقسيمات الإدارية ضمن جند الأردن والذي كان يشمل الأردن حالياً إلى حدود بصرى الشام والذي يمر به الطريق الآمن للاتصال التجاري المألوف مع منطقة دمشق إلى الشمال، وبدون شك أن مثل هذا القصر قد اختير من حيث علاقته بالمناطق العسكرية (الشافعي ١٩٩٤: ٢٦٨-٢٦٩) أو الجند باعتباره المنطقة التي تشكل مناطق تعبئة وتجديد وولاء فهي إذا هامة من ناحية الاستراتيجية السياسية والعسكرية.

وهذا ينطبق على غير مصير عمرة مثل القصور التي كانت تثير الإعجاب كقصر المشتى والموقر، قصر الطوبة وقصر الحرانة وقصر

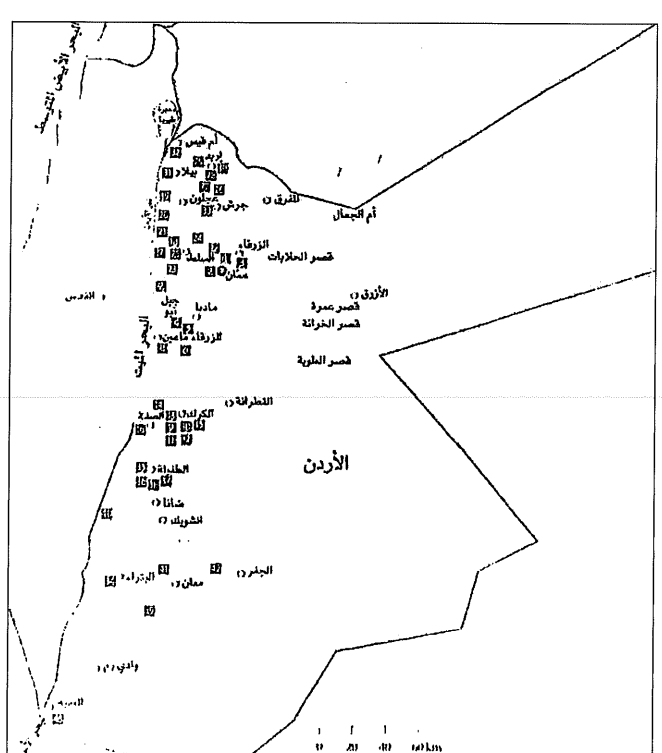

١. خارطة توضح القصور الصحراوية في الأردن.

وخلق حالة ذات مزايا مكانية ورزمانية تعكس الظروف النفسية ويتفق فيها الإنسان مع الكون (كريزول ١٩٨٤: ١٢٣). وفي الجدار الغربي لهذه القاعة توجد أهم التصاوير وهي الصورة التي يطلق عليها (الملوك الستة)، وصورة (أعداء الإسلام) (علي ١٩٨٨: ٥٠) (**الشكل ٦**) وهي عبارة عن منظر يتألف من رسوم لستة أشخاص يرتدون ملابس جميلة، تعكس رقي مستواهم وسمو طبقتهم الاجتماعية، يقفون في صفين أمام بعضهما البعض يظهر فوق رؤوس بعضهم كتابة عربية وأخرى يونانية تدل على أسماء بعضهم ولا تزال باقية منها فالأول من اليسار بالصف الأمامي فوق كلمة (قيصر) بالعربية واليونانية، والثالث بالصف الأمامي فوق كلمة (كسرى) ملك الفرس والثاني بالصف الخلفي فوق كلمة (روذريق) أخر ملوك أسبانيا والذي قتل سنة ٧١١م من قبل الجيوش العربية، والرابع بالصف الخلفي كلمة (النجاشي) ملك الحبشة (حسن ١٩٨٩: ٤٦) وهو موضوع رسمي وسياسي.

وقد تعددت أراء مختلفة ومتضادة تناقش تفسير وجود هؤلاء الملوك في الصورة وتسمياتهم. ومن جهة أخرى هناك تصاوير لمشهداً حياً لصيد البقر الوحشي بتعبيرية ودقة حركة وحيوية، أضف إليها صور قطع الحجارة صور العمال (**الشكل ٧**) التي تحمل دلالة تشير إلى استمرارية الفن المحلي في الأردن، فصورة العمال وهم يرتدون القصير والمئزر هو موضوع اجتماعي للطبقة العامة.

٦. رسومات جدارية من قاعة الإستقبال.

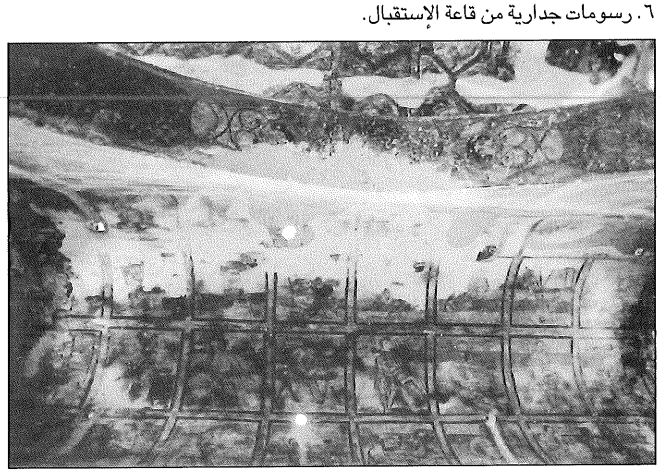

٧. طريقة البناء موضحة بالرسومات الجدارية.

فهذه الاساليب الفنية المدروسة هي دليل واضح على وجود حركة فنية تشكيلية لها رموزها ومعانيها واستمراريتها عبر القرون (صادق١٩٩٥: ٤١)، أن صورة الجمل مع العمال وهو يجلس لحمل الحجارة المقطوعة بها دلالات هامة إذ من المعروف إن صورة الجمل هي رمز للزمن الصعب والخطير فالجمل يعرف بسفينة الصحراء في مخاطرها وصعوبتها أي في بحر متلاطم مهيب ومفزع! بمعنى ديمومة الزمن في المكان ومن الأمثلة الأخرى والمنفذة بتقنية مختلفة رسوم أرضية المخدعين الغرف المجاورة والمزدانة بالفسيفساء الحجرية بزخارفها النباتية والحيوانية وهي أساليب سابقة للفترة مما يحمل إشارة واضحة على استمرارية الموضوع زمانيا (صادق ١٩٩٥: ٣٩ و٤٧). أي أن هذه الرسوم والتصاوير تدل على أن الفنان الأموي الذي عاش على أرض الأردن كان يقصد أن يترك للفنان التشكيلي المعاصر منهجاً يجمع بين الحداثة والأصالة (صادق١٩٩٥: ٤). وما هذا إلا إشارة واضحة على وجود حركة فنية تشكيلية في تلك الفترة تحمل ملامح مميزة، وتسعى نحو الوجود واستمراريته عبر مراحل تاريخ الفن بشكل عام. من هنا يعتقد أنه باحتضار الزمن من خلال المكان نكون قد أسهمنا في حل إشكالية التلقي الجمالي للمكان هكذا فضلاً عن أنهما يتبادلان التأثر والتأثير، إنهما نتاج بعضهما فجمال الزمن؟ إن جاز التعبير – جمال المكان والارتقاء بمستواه ويجعله شيء محبباً قريباً من المتلقي، كما أن جمال المكان يجعل الزمن سهلاً وقصيراً في الوجدان (قادة ٢٠٠١: ١-٣). أي أن هذه التصاوير الجدارية تحمل دلائل واضحة على استمرار الفن في الأردن عبر العصور (صادق ١٩٩٥: ٤٣).

ثانياً: غرف الحمام

إن حمام قصير عمرة يشكل الجزء الشرقي من القصر ويدخل إليه من باب في الجدار الشرقي لقاعة الاستقبال. يتألف الحمام من ثلاث غرف صغيرة تم تصميمها حسب النموذج والتصميم الروماني والذي في حقيقية يتكون من ثلاث وحدات أو غرف هي الغرفة الباردة وتكون درجة الحرارة فيها عادية وتستعمل لخلع الملابس، وهي مزينة بسقوفها التي على شكل قبو اسطواني **بصور** تمثل مراحل العمر ومناظر اسطورية داخل أشكال أو براويز معينية بلغ عددها حوالي سبعة عشر معينا نتج عنها اثنا عشر مثلثاً وهي أشكال هندسية داخلها صور لإنسان وحيوان وطائر (**الشكل ٨**) (الباشا ١٩٥٩: ٥٥)، إضافة إلى صورة تمثل رجلاً في مراحل العمر الثلاثة من طفولة وشباب وشيخوخة (كريزول ١٩٨٤: ١٢٥-١٢٦).

أما الغرفة الثانية وهي متوسطة الحرارة يدخل الهواء الساخن إليها من خلال فتحات خاصة، وهي مسقوفة بعقد متقاطع، فيشاهد على جدرانها المختلفة رسوم أدمية لنساء عاريات وصورة **طفل** (**الشكل ٩**) (الباشا ١٩٥٩: ٢٥٥، الفرغلي: ٥٩) تعكس الأسس الجمالية في الفكر العربي ومعاييره بالعقلية العربية وقد أورد بعض المؤلفين هذه الأوصاف العربية في مؤلفاتهم (بهنسي ١٩٧٩: ١٠٧. صادق ١٩٩٥: ٣٩). وتبقى

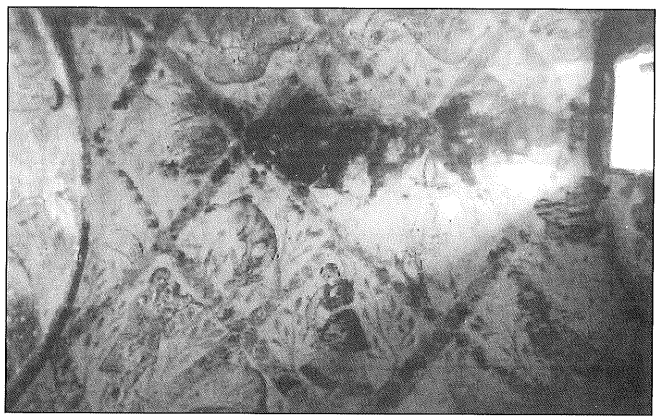

٨. منظر من غرفة الحمام.

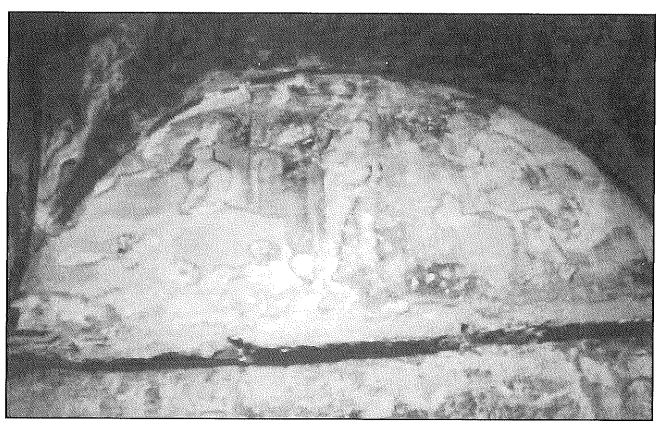

٩. قاعة غرفة الحمام.

مثل هذه إشارة واضحة على استمرارية الموضوع.

أما الغرفة الثالثة وهي الغرفة الحارة، وهي مسقوفه بقبة نصف كروية في نهايتها بقايا الموقد وتساقطت رسومها (**الشكل ١٠**). والجدير بالذكر أن بناء الحمامات الخاصة داخل القصور يرتبط بتأثير العامل الديني إذ تضمن القران في مواضيع كثيره منها: الأمر بالنظافة الدائمة، والتطهر والاغتسال، وهذا ما جعل الأمويين كمسلمين يهتمون ببناء الحمامات داخل القصير (الشافعي ١٩٩٤: ٢٥١). والجديد أيضاً بهذا النظام هو التصاق الحمام بالسكن مباشرة فأصبح جميع البناء كتلة

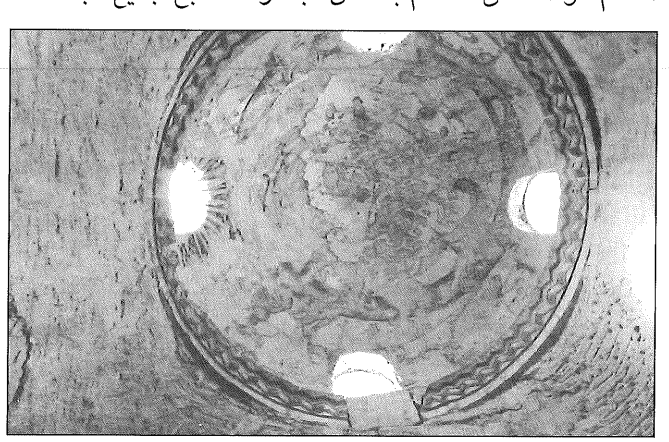

١٠. قبة الأبراج السماوية في قصير عمرة.

واحدة وربما أن هذا التصميم كان بفعل وتأثير العامل الديني (الشافعي ١٩٩٤: ١٥-١٦). مما يعني تأثير وفعالية العامل الديني على الدوام وفي كل مكان.

ثالثاً: البئر والخزان

وهما يقعان خارج الغرف في الجهة الشمالية من القصير أمام المدخل الرئيسي (**الشكل ١١**) ويمتاز هذا البئر بعمقه وضخامته، مطوي من الحجارة وقد بلغ طول عمقه ٤٠ متراً، وبالقرب منه خزان الماء الذي يتسع لكمية من الماء تزيد عن ١٤ م^3 تستخدم في الحمام.

مناقشة ذاكرة المكان وتقسيمات قصير عمـرة

أولاً: مسائل التصميم والتخطيط الهندسي

يتجلى النضج المعماري الإسلامي في تصميم قصير عمره الذي ينفرد بتخطيط مشترك من حيث تواصل المباني، وصغر الحجم، وثم قلة عدد الوحدات المعمارية. لقد اتضح بالتحليل الروح العلمية، والمستوى الهندسي المتقدم الذي كان يسود في عمارة تلك الفترة، والذي كان بتشجيع من السلاطين والحكام من حيث التخطيط والتقسيمات ونظام التسقيف، ونظام التهوية والإضاءة، ونظام تخطيط الحمامات، والقاعات وتوزيع المساحات، ونظام تدفئة الحمام، ومصادر توريد الماء وحفظها. حتى قيل بأن قصير عمره هو أكثر مبنى اثري في الأردن يحافظ على شكله وتصميمه التي تكشف عن استخداماته من حيث مراسيم الاستقبال والإقامة فيه إضافة إلى مميزاته الهامة أن دراسة مثل هذه الآثار تجعل لدى الإنسان مقدرة خاصة من تفهم وتطور حياة تلك الشعوب والأقوام (بهنسي: ١٧٠). ولما كانت العمارة هي نتيجة كل محاولة قام بها الإنسان وهدف بها إلى أن يوفر لنفسه في معيشته ثلاثة مطالب هي الراحة والأمن و الجمال (الشافعي ١٩٩٤: ٢٠-٤٧).

وفي ظني أن بناء قصير عمرة لا يخرج عن هذه المطالب الثلاثة. ومن جهة ثانية لقد أتضح انه في تسقيف قصير عمرة اتبع أحدى طرق التسقيف الساسانية من حيث تشييد عقود عرضه متساوية توضع بعرض القاعة أو الديوان، وتتوالى وراء بعضها في الاتجاه الطولي ويملأ ما

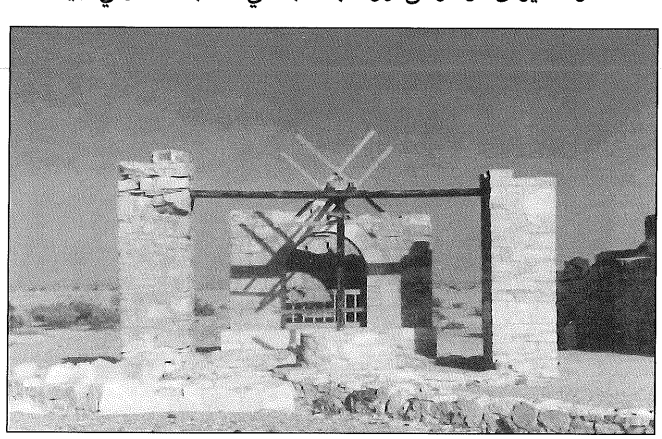

١١. البئر والخزان.

بين كل عقدين بقبو عريض يسير بين الجدارين الجانبيين ويرفع مركز نصف دائرة فوق قمتي العقدين اللذين يحصرانه فكأن القاعة قد غطيت بقبو طولي كبير ينقسم إلى جملة عقود متوالية تفصل بينها أقبية عرضية (الشافعي ١٩٩٤: ١٦٤-١٦٧)، وبالرغم أن الحمامات الإسلامية ومنها (حمام قصير عمرة) قد اقتبست فكرة الوحدات الثلاث وطريقة اتصالها ببعضها حسب النموذج الروماني ونواته ثلاث وحدات هي باردة (جو عادي)Frigidarium أو Apoditarium والدافئة المعتدلة Topidorium، والحارة (الساخنة) Calidarium إلا أنها قد خضعت للتقاليد الإسلامية الجديدة، وهي مرتبطة مع السكن أي ملحقه بمسكن بعكس الرومانية.

وبالتحليل اتضح النضج المعماري الإسلامي في الصميم من حيث تواصل المباني وصغر الحجم، وقلة الوحدات المعمارية وهذه ميزة معمارية إسلامية (الشافعي ١٩٩٤: ١٥).

ثانياً: مسائل الإبداع الفني والقيم الجمالية

لقد اتضح بالدراسة سمو المستوى الفني والحسن الجمالي فيه من حيث التقنيات واستخدام المواد الأولية من ألوان، وفريسكو وحجارة فسيفسائية وغيرها، إضافة إلى القدرة على اختيار الألوان، وتوزيع العناصر والألوان والخطوط، والإشكال وتناسبها، وانسجامها، ورصوف الأرضيات بالفسيفساء، مما دلل على ذوق راق وثقافة فنية ورؤى بصرية، وتذوق جمالي يعكس امتلاك حساسيةً خاصة بقيمة الزمان والمكان. أن قصير عمرة برسومة التلوينية وتصاويرة، وفسيفسائة وتخطيطة وتصميمة وبكل أشكال مظهرة الخارجي أكد على أن القصير هو معلم إبداعي ومبنى يتميز بهندسته وقيمة المعمارية الجميلة بحيث استطاع أن يستوعب جميع أنماط الفنون التكميلية في ميدان العمارة من تشكيل وتصوير ورسم وغيرها وبالتالي يمكن القول انه فيه جرى التمازج والتفاعل ما بين مفردات لغة الخط واللون والشكل مع لغة الحجم والحيز (بهنسي ١٩٧٩: ٩-١٠)، أو الكتلة والفراغ. بمعنى لغة التشكيل مع لغة التكوين والتصميم المعماري. فمثلاً أن التصاوير عكست الإحساس بالزمان في بعض الرسوم الشريطية في قصير عمره، إضافة إلى التعامل اللوني والتحكم بتوزيعه كحال اللون الأزرق الذي بدا في جميع اللوحات متقارب من حيث الارتفاع، مما أعطاها جانباً جمالياً وتشكيلياً يوحي بالزمن (استمرار الزمن) واستمرار الرؤية (التتابع الصوري)، وأيضا تجاور وتمازج اللونين الأزرق والبني في مساحات كبيرة أوجد حالة خلق مكاني يتسم بالاستمرارية والإحساس بالثقل المكاني وكتلته (الربضي ١٩٩٥: ٣٧٨).

ثالثاً: مسائل تتعلق بالمضامين والموضوعات والأفكار

تعتبر الصور والرسوم الجدارية في قصير عمرة من أقدم الصور التي تم اكتشافها وتعكس على درجة عالية من الأهمية في مضامينها في تاريخ التصوير الإسلامي المبكر (الفرغلي: ٥٦) وتتلخص موضوعات الرسوم والتصاوير بمواضيع الكائنات حية ومشاهد حية لحمر وحشية وكلاب سلوقية تظهر طرائق الصيد وأساليب الاقتناص، وهناك مواضيع آدمية إنسانية تعكس مختلف المستويات فمنها صورة للخليفة وملوك وأباطرة فهي تعكس موضوع رسمي وسياسي وتقاليد ومراسيم، وأخرى لنساء عاريات مستحمات وتمتاز الرسوم الخاصة بالنساء من حيث أنها أكثر تحرراً وأكثر طبيعية، وصورا أخرى لجارية ومشاهد طرب ولهو، ومشاهد إنسانية أخرى تعكس الحياة الاجتماعية العامة كعمال الحجارة ونقلها وقطعها وأيضا ملامح لرسوم فلسفية خاصة الصورة التي تعكس مراحل العمر.

إضافة إلى زخارف من التوريق والعناصر الهندسية وفسيفساء ذهبية، ونوافذ ملونة (زغلول وآخرون ١٩٨٦: ٥٠٤) وبذلك يقول المعماريون أن السكن كقصر أو منزل أو غيره هو خلية عمرانية اجتماعية، وليس هو منشأة في فراغ اجتماعي. وهو بذلك يحقق أهدافا ثلاثة:

١. اللقاء مع الآخرين.
٢. التوافق معهم.
٣. تحقيق السكنية والتفرد.

ولغة العمارة هي لغة ذاكرة المكان، والعمارة الأصلية هي التي تمتلك اللغة التاريخية التي تعبر عن الإنسان الذي أنشئت من اجله، إنها العمارة التي تعبر عن الهوية، ولأن اللغة هي المعبر عن الهوية فالعمارة لغة تاريخية واجتماعية ولقصير عمره مكانه خاصة في تاريخ الفن الإسلامي من حيث انه يقدم نماذج تمتاز بالغرابة في تاريخ الفن الإسلامي.

غياب التراث المعماري: غياب الزمان ونسيان المكان

تحت اسم الحداثة وما بعد الحداثة يجب أن يتذكر أيضا أننا شاركنا في ثورة الحداثة على الماضي والواقع والطبيعة والإنسان وهناك كان ثمة مخزون ثقافي موجود وموضوع في أقبية القصور والمكتبات والمتاحف، هذا المخزون هو التراث والذي يخشى عليه ان تتكون قطيعة معه كمخزون لعطاء إنساني الذي لا تتجدد بالزمن الذي انقضى بل بالزمن المستمر، ومشكلتنا في المعمارية العربية أن النفوذ السياسي الغربي على العالم الإسلامي رافقه نفوذ ثقافي في شتى المجالات ونحن معنيين بمجال العمارة الذي فيه جرى انتقال الأساليب المعمارية والأوروبية في قصورنا ومبانينا ومساكننا فأصبحت عمائرنا تخلو من الهوية والأصالة كل ذلك كان تحت عنوان الانفتاح على الغرب والتي نتج عنها مبدأ القطيعة مع التراث.

أن زوال الذاكرة المكانية الحضارية للتراث المعماري في كثير من المدن العربية والإسلامية أفقد الجيل فرصة التعايش مع هذا التراث مباشرة، وأصبح الأمر لا يتعدى زيارات سياحية ورحلات استحمام ولهو فقط، وأصبح الأمر يبحث عن إجابة على سؤال: أين الوظيفة؟ ولم يطرح السؤال الأهم: أين الهوية؟!

أن هوية الأمة تتجلى من خلال وحدة اللغة والثقافة والقصائد وتعكس هويتها على العمارة والفنون والتراث وتستمر هوية العمارة باستمرار

هوية الأمة، وتتطور بتطورها، وتنهض بنهوضها. لذا أن البحث عن هوية العمارة هو بحث عن هوية الأمة فقراء تاريخ العمارة يجب أن يبدأ بقراءة تاريخ حضارة الأمة، فالعلاقة بين الزمان والمكان علاقة وجودته، فلا زمان دون مكان ولا حركة للمكان دون زمان ولهذا فان طبيعة الزمان تختلف وتتجلى بحسب طبيعة المكان. وقد خلص الشافعي للدلالة على علاقة الزمان والمكان (ذاكرة) بقوله (أن جوهر العمارة العربية والإسلامية، أي عظامها وما يكسوها لحم عربيا إسلاميا خالصاً. وأما مظهرها وثوبها الخارجي فقد دخل في نسيجه بعض خيوط من طرز سابقة، وسرعان ما أصبح عربياً إسلاميا في سدته ولحمته ووحداته وعناصره الزخرفية) (الشافعي ١٩٩٤: ٢٧٧).

الخاتمة

أتضح في هذه الدراسة أن المكونات المعمارية بنوعيها: الأساليب البنائية Building Style والنتاجات الفنية Decorative Art لقصير عمرة، تشتمل على اهتمامات نظرية وعملية من حيث الوصف التكويني لعمارته فجاء ملائما لعمليات التقويم الحديث في العمارة والأساليب البنائية الحديثة، مثلما يعكس حالة من التطور التقني والفكرة نحو الإبداع، فاختلاف الأساليب، والخامات وغرابة المواضيع، والتكوينات من حيث النوع والأسلوب هي التي عكست التقويم النوعي فيه، وقد عرف هذا الأسلوب عند النقاد التشكيليين بالأسلوب التأملي وهو الأسلوب الذي يتجنب عنصر المحاكاة ويرفض تقليد الواقع فيستبدل بواقع متى يتناول الحقائق والجوهر والروح بتعبير رمزي، فأحال الشكل الخارجي والمظاهر العرضية إلى رموز وأسرار، مضامينها تأملية، وأشكالها تعتمد التوازن والتقابل والتناسب والتكرار. واستعاضت عن التجسيم بالعمق الوجداني، وما يؤكد استلهام الزمن أن انتقلت هذه الإبداعية إلى فنون الغرب المعاصرة (الصراف ١٩٧٩: ١٦٢-١٦٣) كعنصر تزويقي وتستلهم الحروف أحيانا.

إن قصير عمرة برسومه التلوينية، وتصاويره، وفسيفسائيته، وتخطيطه وتصميمه وبكل أشكال مظهره الخارجي وكتلته وأقسامه يؤكد أنه معلم فني مجسم أنجزته أيدي مهرة وهو عمل إبداعي؛ نفذه فكرة هندسي، وقد استوعب جميع أنماط الفن التشكيلي، بمعنى أنه فيه تلاقت فيه مفردات لغة الخط واللون مع لغة الكتلة والفراغ، لغة التشكيل مع لغة المعمار (بهنسي ٢٠٠٢: ٩-١٠).

المراجع

أبو الحمد، محمود

١٩٩١ **التصوير الإسلامي نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه**. الدار المصرية اللبنانية: القاهرة.

تنجهاوزن، ريتشارد

١٩٧٤ **فن التصوير عند العرب**، ترجمة عيسى سليمان وسليم التكريتي، بغداد

الباشا، حسن.

١٩٥٩ **التصوير الاسلامي في العصور الوسطى**. القاهرة.

بهنسي، عفيف

١٩٧٩ جمالية الفن العربي. **سلسلة عالم المعرفة**. عدد (١٤)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت.

١٩٨٠ **الشام لمحات اثارية**. بغداد.

١٩٨٣ **الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه**. دار الفكر. دمشق.

٢٠٠٢ **العمارة الهوية والمستقبل**. دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة.

بيلياف، أ

١٩٧٢ **العرب والإسلام والخلافة العربية**. ترجمة انيس فريحة، مراجعة محمود زايد، الدار المتحدة: بيروت.

ديماند، م. س

١٩٨٢ **الفنون الإسلامية**، ترجمة احمد عيسى، دار المعارف: القاهرة.

حسن، زكي حسن

١٩٨٩ **فنون الإسلام**. دار الفكر العربي: مصر.

درادكة، صالح

١٩٨٩ **طرق الحج الشامي في العهد الأموي**. المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام: الجامعة الأردنية.

حسين، محمود إبراهيم

١٩٨٦ **موسوعة الفنانين المسلمين**، "المصورون المسلمون". مكتبة نهضة الشرق. جامعة القاهرة.

الخالدي، غازي

الوثيقة العربية ودورها في خدمة المجتمع "توثيق الفن وهوية الوطن" النادي العربي للمعلومات www. Google.com

خماش، نجدة

١٩٨١-١٩٨٢ **دراسات في الآثار الإسلامية**. مطبعة الرياض: دمشق.

رايس، د. ت

١٩٧٧ **الفن الإسلامي**، ترجمة منير الاصبغي. دمشق.

الربضي، انصاف

١٩٩٥ **علم الجمال بين الفلسفة والإبداع**. دار الفكر: عمان.

الرشدان، وائل

١٩٩٤ **معالم الحضارة الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية**. ايسسيكو: تونس.

الريحاوي، عبد القادر

١٩٩٩ **العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية**. دار البشائر: دمشق.

زيادين، فوزي

١٩٨٩ التنقيب الثري وتطبيقاته في الدراسات التاريخية تجارب الأردن. المؤتمر الثاني للآثار بالمغرب. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

زيادة، نقولا

١٩٨٨ المراكز الإدارية والعسكرية في بلاد الشام في العصر الأموي. المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام. الجامعة الأردنية: عمان.

زغلول، سعد عبد الحميد واخرين

١٩٨٦ **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**. دار ذات السلاسل: الكويت.

الحلابات. وهكذا إن أكثر القصور العربية الإسلامية في بادية الشام تتميز بجدران قوية وذلك بسبب وجودها في مناطق بعيدة من العمران وتأمينا لسلامة الخليفة والأمراء اللذين كانوا يقيمون فيها (الشافعي ١٩٩٤: ٢٨٥-٢٨٦). كما يعتقد أن بناء هذا القصير وغيره من القصور الأخرى (زيادة ١٩٨٩: ٤٤) كانت من أجل زيادة الخصوبة السكانية في المنطقة وهي فكرة أموية أشاعها الأمويون في صحارى الشام لزيادة الخصوبة فيها (درادكة ١٩٨٩: ٤٤).

ذاكرة المكان وتقسيمات قصير عمرة

في ذاكرة المكان يقع قصير عمرة على حافة وادي البطم الذي يبعد مسافة ٨٠كم تقريباً إلى الشرق من العاصمة عمان، ويرجع الفضل في اكتشاف هذا القصر إلى الرحالة التشكيلي (لويس موزيل Musil) الذي زاره عام ١٨٩٨ وأقام به لفترة ليست بالطويلة، وعاد إليه مرة أخرى عام ١٩٠١ يرافقه الفنان النمساوي الرسام (ميليخ) الذي قام بنقل ورسم التصاوير والرسوم الفنية في جداريات القصر وسقوفه، وقام بعد ذلك بنشر هذه الرسومات في مجلد طبع في فينا عام ١٩٠٧ (زيادين ١٩٨٨: ٦٥). وفي عام ١٩٠٩ قام العالمان الفرنسيان جوسن وسفيناك بزيارة القصر وأجريا مراجعة للدراسات السابقة محاولين إصلاح بعض الأخطاء المنهجية للدراسة الأولى التي قام بها (موزيل). وقد نشرا ما توصل إليه العالمان من آراء وأفكار في كتاب نشر عام ١٩٢٢ إلى أن تبعهما العالم (كريزول) في دراسته الوافية لهذا القصير معتمداً على دراسة العالمين الفرنسيين السابقة ونشر كريزول آراءه في سباق (كتابة الآثار الإسلامية الأولى) (كريزول ١٩٨٤: ٢٥) ويكاد أن يجمع المؤرخين والباحثين على أن القصير أنشئ في عهد الوليد الأول بن عبد الملك في الفترة ما بين (٧١٢ - ٧١٥) ميلادية استدلالاً من كتابات بالعربية الكثيرة التي وجدت داخل هذا القصر، وبسبب الرسوم للأباطرة والملوك فيه وخاصة الملك روذريق الذي قتله العرب عام ٧١١م (وبوزورث ١٩٨٨: ١١٩)، حيث كان مثل هذا القصير يشكل في ذاكرة المكان عند الحكام مركز استقرار ولقاءات للبدو الرحل في تلك المنطقة. وقد قامت عليها إلى عهد بعيد ثروات الخلفاء الذين كانوا يميلون إلى السكن في مواضع تحيط بها الأعمال الزراعية، وإلى بناء مثل هذا القصير الأموي المتميز باحتفاظه بطابعه أكثر من غيره. وما يؤكد ذلك الأرضية الفسيفسائية، وتصاويره الجدارية، وأعمال الرسوم التي تعكس جمالية خاصة، وقدرة فنية فائقة إضافة إلى إظهار مدى الرغبة لدى الحكام في أن تعكس هذه القصور ماهية الحياة.

إما عن وصف القصير فيمكن القول بأنه بناء صغير نسبياً يتكون من ثلاثة أجزاء معمارية رئيسية إضافة إلى البئر الخارجي (خزان الماء) (**الشكل ٢ و٣**) وهذه الأجزاء الرئيسية هي

أولاً: قاعة الاستقبال

قاعة الاستقبال مستطيلة الشكل مساحتها حوالي ٦٤م^2، يعلوها

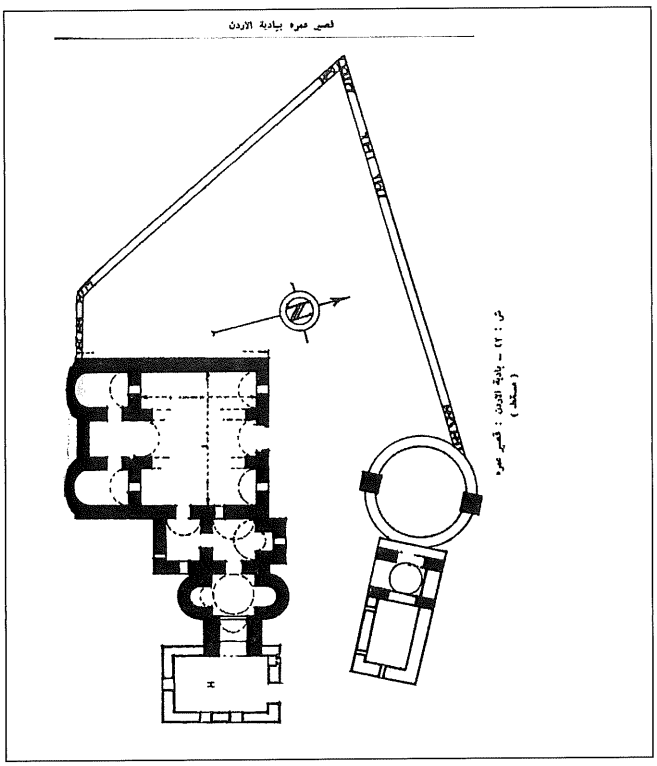

٢. مخطط لقصير عمرة.

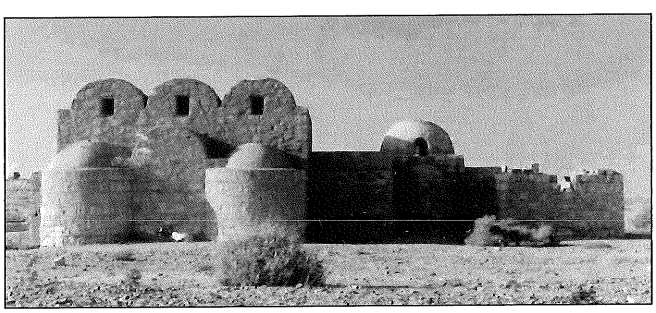

٣. قصير عمرة.

سقف نصف برميلي يتكون من ثلاثة أقبية ترتكز على الحائطين الشرقي والغربي، وعقدين مدببين مقامان بأسلوب ساساني، يحف بها من الجانبين غرفتان مظلمتان، تستخدمان للقيلولة، وإضاءتهما محدودة من خلال فتحات دائرية صغيرة بالأعلى، وفرشت أرضيتها بالفسيفساء المنفذ بأسلوب جمالي وإتقان فني وتشبه هذه الأرض الفسيفسائية في زخارفها الهندسية والبنائية وسائر موضوعاتها تلك الفسيفساء التي في مادبا (صادق ١٩٩٥: ٤١). وينتهي العقد الأوسط بمقصورة العرش على شكل حنية مليئة بالصور النباتية وهي حنية مجوفة متعامدة الأضلاع وليست مستديرة كالمحراب (الشافعي١٩٩٤: ٦٥٩)، محدثة مثلثات كروية من تداخل القباب وأن هذه المثلثات الكروية في قصير عمرة كان لها وظيفة تحويل المسقط المربع إلى دائرة ترتكز عليه الحافة السفلى الدائرية للقبة (**الشكل ٤أ، ب، جـ**) وهي فكرة محلية صناعها من الشاميين وهذا يعني وظيفياً أن يكون البناء متوازن وقوي (الشافعي ١٩٩٤: ٢٠٠). أما الصورة التي في هذه الحنية تعتبر إحدى الصور التي

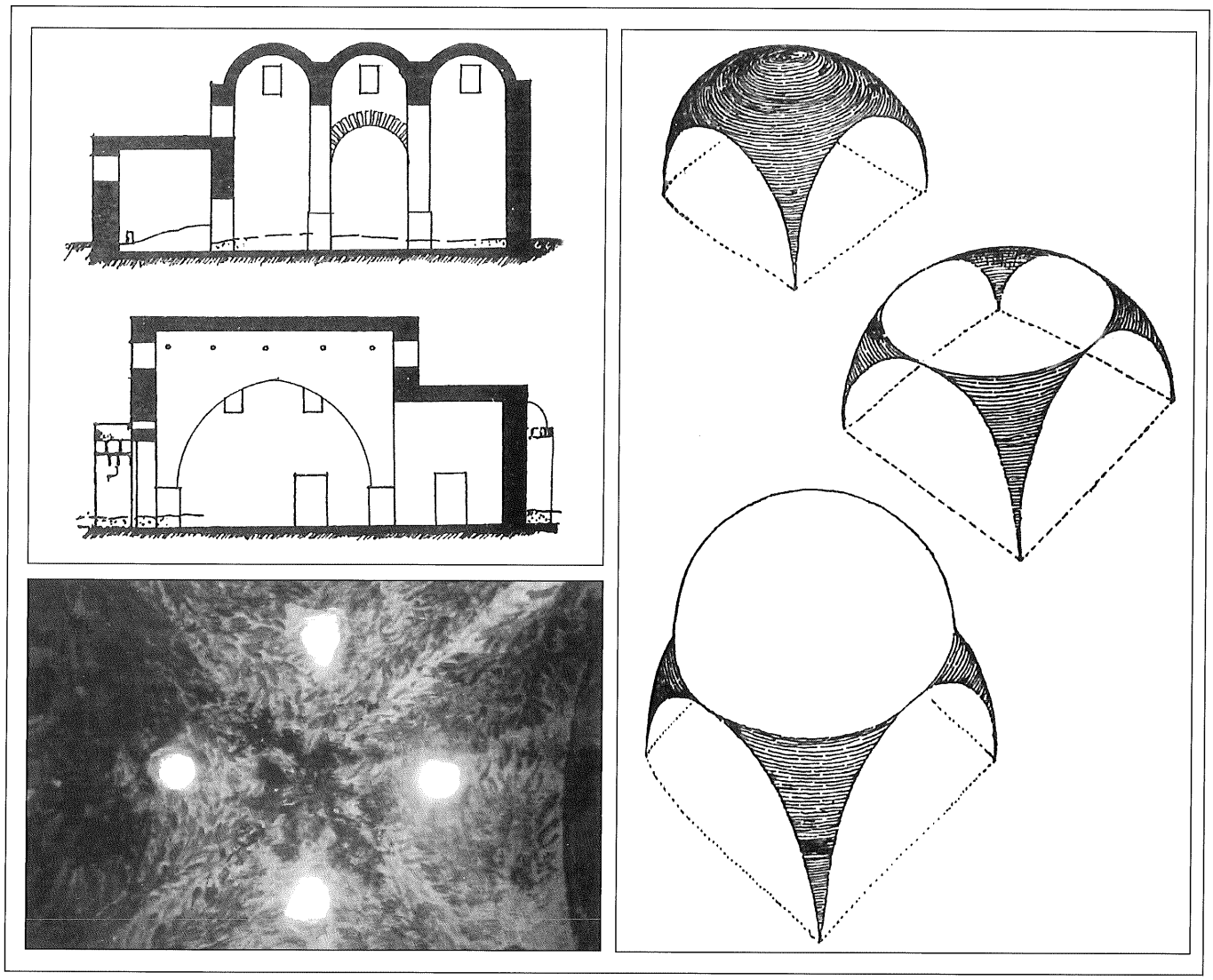

٤أ، ب، ج. طريقة بناء القباب في قصير عمرة.

تنسب أهمية القصير إليها لأنها تصور الخليفة وهو جالساً على عرشه يقف على جانبه شخصان وتحيط برأسه هالة، فوقها مظلة محمولة على عمودين حلزونيين، وصف من الطيور الصغيرة ويبدو تأثير الأسلوب الساساني فيها واضحاً (**الشكل ٥**) (نعمت ١٩٨٩: ٤٣). وما يميز هذه القاعة أيضاً هو كثافة الرسوم والتصاوير الجدارية التي تعطي معظم الجدران بالنصف الأعلى والسقوف المختلفة هذا من جهة وميزة ثانية هو تنوع الموضوعات واختلافها في هذه التصاوير.

وقيل فيها أنه لا يوجد مثيل لها من حيث الاتساع في أي بناء (مدني) قبل الفن المسيحي في القرن الأول الميلادي. وتمتاز هذه التصاوير أيضاً بالقدرة الفنية في تنفيذها والتقنية المتقنة فيها، حتى بلغ سماكة الطلاء حوالي ٣سم مستخدماً فيها الألوان الأساسية والمشتقه كالأزرق بدرجاته وبريقه، والأصفر الغامق، والأخضر المائل نحو الزرقة والبني الغامق، أما اللون الأحمر لحيطانه ورسوماته الداخلية عكست بأنه كان خصيصاً للخليفة الأموي فظهرت موزعة بشكل متناسق وتوافق لوني يندر تحقيقه في مثلها (كريزويل ١٩٨٤: ١٢٣). وهي ذات تأثير نفسي وقدرة عقلية تجعل من المشاهد شخصاً قادراً على فهم الفن الإسلامي في بداياته (انتجهاوزن ١٩٧٣: ٣٠) مما يظهر الإحساس بالتصميم اللوني

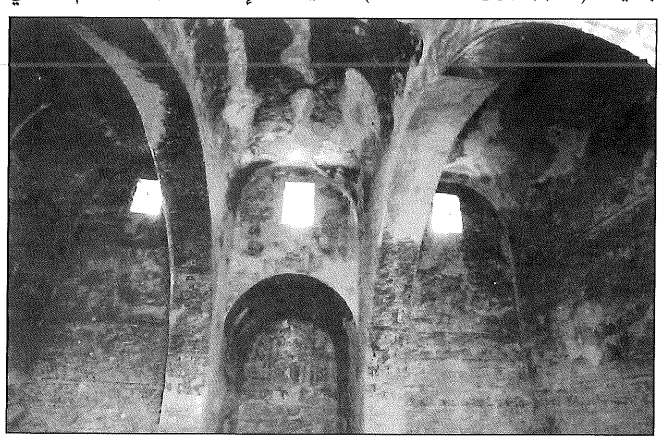

٥. الحنية في قاعة الإستقبال.

سورديل دومنيك وجانين
١٩٨٠ **الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي**. ترجمة حسني زينة. دار الحقيقة: بيروت.
الشافعي، فريد
١٩٩٤ **العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة**. الهيئة المصرية للكتاب: القاهرة.
ـــــ **العمارة العربية الإسلامية، ماضيها، حاضرها، مستقبلها**، جامعة الملك سعود: الرياض.
صادق، محمود
١٩٩٥ **الفن التشكيلي في الأردن**. سلسلة منشورات تاريخ الأردن. عمان.
الصراف، عباس
١٩٧٩ **آفاق النقد التشكيلي**. دار الرشيد للنشر: بغداد.
علام، نعمت إسماعيل
١٩٨٩ **فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية**. دار المعارف: مصر.
علي، وجدان
١٩٨٨ **الأمويون، العباسيون، الاندلسيون**. دار البشير: عمان.
قادة، عفاف
٢٠٠١ **تجربة الزمن في المكان "دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان"**. منشورات اتحاد الكتاب العرب: دمشق.
كريزول، ك
١٩٨٤ **الآثار الإسلامية الأولى**. ترجمة عبلة عبد الهادي. دار قتيبة للنشر: عمان.
لانكستر، هاردنج
١٩٧١ **أثار الأردن**. تعريب سليمان موسى، وزارة السياحة: عمان.
لطف الله، قاري
١٩٨٦ **نشأة العلوم الطبيعية عند المسلمين في العصر الأموي**. دار الرفاعي للنشر: الرياض.
مجموعة من المفكرين، **الزمان والمكان اليوم**. ترجمة محمد الأتاسي، دار الحصاد: دمشق.
مصري، عبد الله حسن
١٩٨٨ مفاهيم جيدة للمسح الأثري وعلاقته بحركة التنقيب. المؤتمر الثامن للآثار، المغرب. منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: تونس.
المهتدي، عبلة
٢٠٠٢ **القدس حضارة مدينة "أوراق مؤتمر الحضارة الإنسانية من المغارة إلى العمارة"**. جمعية بيروت التراث: بيروت.
وبوزورث، شاخت
١٩٨٨ **تراث الإسلام**. ترجمة محمد السمهوري وآخرين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت.

المراجع الأجنبية

Creswell, K.
1969 *Early Muslim Architecture*. vol. 1 Umayyads, claendon press: Oxford.
Oleg, G.
1975 *The Formation of Islamic Art*. London.

أحمد جمعة الشامي
دائرة الآثار العامة
a.alshami@doa.jo.com
alshami66@yahoo.com

أحمد جمعة الشامي

الاستيطان الروماني المتأخر في منطقة رأس النقب جنوبي محافظة معان في ضوء الإكتشافات الأخيرة

تمهيد

بدأت السيطرة الرومانية على البحر الأحمر في القرن الثالث الميلادي بالاضمحلال نتيجة الأزمة الاقتصادية والسياسية التي داهمت الإمبراطورية الرومانية، الأمر الذي دعا ديوقليشيان ٢٨٤ – ٣٠٥ م، وقسطنطين ٣٠٧ – ٣٣٧م إلى اتخاذ إجراءات كان من شانها أن توقف هذا التدهور، فقسم ديوقليشيان الولاية العربية إلى أقسام إدارية صغيرة لتقليص سلطة حكام الولايات، وقام بفصل القيادة العسكرية عن الإدارة المدنية، وأنشأ حصون جديدة وقوّى بعض الحصون في المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية كما في اللجون وأذرح وتدمر ودير الكهف وقصر بشير (Parker 1985: 21-22, 53-54).

وفي نهاية القرن الثالث الميلادي نقل الفيلق الروماني العاشر من القدس إلى العقبة لحماية هذا الموقع الذي كانت تصل إليه طريق تراجان الجديد الممتد من بصرى الشام إلى البحر الأحمر (Parker 1985: 142) ومع بداية القرن الرابع الميلادي اقتطع من كورة البتراء بعض المدن مثل العقبة وفينان وألحقت بفلسطين، حيث إن الضرورات العسكرية دفعت إلى إجراء هذه التغييرات. فقد كانت الطرق الحربية تصل من إيلانة (العقبة) إلى سوريا وفلسطين (زيادة ١٩٨٦: ١٢٠، ١٩٨٩: ٣٠٥) وفي أواخر القرن الخامس الميلادي ضعفت سيطرة الإمبراطورية على الأجزاء الشمالية من الحجاز وسيناء، مما دفع القبائل العربية إلى التمرد على السلطة (Shahid 1984: 142-143). لقد أصبحت الزراعة في القرن الرابع مصدرا رئيسيا في الإمبراطورية، وكان الجزء الأكبر من الاقتصاد يعتمد على الضرائب التي تجبى من المزارعين، حيث تتحمل نفقات الدولة العسكرية والخدمات الأخرى، وكان القمح وزيت الزيتون والخمور أكثر السلع التجارية التي ترتبط بالزراعة في بلاد الشام، وقد أقبل الناس على زراعة الكرمة لأن غلتها ذات فائدة أكبر من المزروعات الموسمية الأخرى (عباس ١٩٩٠: ١٦٥– ١٦٦) من ناحية أخرى كانت منطقة حضرموت غنية بنباتات مدارية رطبة أهمها البخور، وكانت المصدر الرئيسي له في العالم القديم، ونتيجة للتغيرات المناخية فقد جفت المنطقة في القرن الثالث الميلادي، مما وجه أنظار التجار نحو الهند لجلبه منها في وقت اشتد فيه الطلب على هذه السلعة، حيث أن الدولة الرومانية بعد اعتناق النصرانية كانت طقوسها الدينية في الكنائس تحتاج للبخور، ودخل العرب بأنفسهم في هذه التجارة، وبدءوا البحث عن التوابل والبخور لسد حاجة التجارة الرومانية، حيث كان النشاط التجاري الروماني حتى القرن الرابع الميلادي مقصورا على شرقي البحر المتوسط، وكان العرب إما تجارا أو ناقلين للتجارة أو حماة لقوافل التجارة. وقد وجدت ثلاث مدن صحراوية تتوسط طرق التجارة التي تعبر الصحراء وهي تدمر في الشمال والبتراء وتيماء في الجنوب، حيث كان العرب الأنباط ينقلون تجارتهم من غزة على البحر المتوسط إلى الخليج العربي (غلاب ١٩٨٤: ١٩٤–١٩٦).

الدراسات السابقة

تعد منطقة رأس النقب من المناطق المهمة في العصور التاريخية المختلفة التي مرت عليها هذه المنطقة، فقد حظيت بزيارة عدد من الرحالة والمكتشفين الأوائل وتسجيل ملحوظاتهم عليها بذكر أسماء المواقع ورصد ما يمكن مشاهدته من بقايا أثرية ومعمارية على السطح (**الشكل ١**). وقد أجرى عدد من الباحثين مسوحات وتنقيبات علمية منظمة في المنطقة، ومن أوائل الذين زاروا المنطقة في عام ١٨٩٨م الرحالة النمساوي موزيل الذي ذكر موقع أبو النسور وأشار إلى وجود برج مراقبة، وجاء موزيل على ذكر الطريق الروماني والمواقع التي يمر منها مثل موقع القرين وسويمرة والقناة والحميمة (**الشكل ٢**) (Musil 1926: 53). وفي عام ١٩٣٣م زار الألماني فرتز فرانك المنطقة الممتدة بين معان والعقبة حيث ذكر أن الطريق الروماني تقع بين خربة القناة وخربة الحميمة (**الشكل ٢**) (Frank 1934: 230-240)، ثم جاء بعد ذلك نلسون جلوك الذي زار المنطقة عام ١٩٣٤م وذكر عددا من المواقع جنوبي معان وهي خربة الحبيض، فيصف فيها آثار غير واضحة المعالم ويذكر وجود عين ماء في الموقع ويذكر موقع عين جمام واصفا بعض الأعمال الزراعية فيه، والنبع الجاري الذي يغذي المنطقة، وزار جلوك أيضا موقع أبو النسور ووصفه بأنه موقع نبطي صغير وآثاره كاملة بالرغم من الدمار الكلي للموقع، ويذكر وجود نبع ماء صغير يغذي الموقع (**الشكل ٣**) (Glueck 1935: 65)، وفي عام ١٩٦٠م زار لانكستر هاردنج منطقة رأس النقب وذكر أنه لا توجد مواقع تلفت النظر بين معان ورأس النقب لكنه يذكر وجود بقايا قلعة نبطية متهدمة في رأس النقب أنشئت لحماية طريق القوافل من الجزيرة العربية إلى البتراء (هاردنج ١٩٦٥: ١٣٨–١٤٠) وأجرى جراف مسحا للمواقع النبطية

١. خريطة لمنطقة رأس النقب الواقعة جنوبي محافظة معان والتي جرت فيها أعمال المسح والتنقيب.

والرومانية العسكرية في جنوب الأردن فذكر خربة رأس النقب التي ربما يقصد بها دبة حانوت وموقع البيضا في قاع النقب في الصحراء المؤدية إلى الحميمة ويفيد أنه شاهد حجارة مسافات محطمة وبعض الحجارة التي استعملت في بناء الطريق الروماني، وذكر تلك القناة القادمة من عين القناة التي كانت تجلب المياه إلى موقع الحميمة حيث عثر فيها على كسر فخارية تعود للفترة الرومانية المتأخرة (**الشكل ٣**) (Graf 1979: 125). وأجرى وليم جوبلنج مسحا للمواقع بين معان والعقبة وذلك في عدة مواسم ابتداء من عام ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٦م فذكر موقع عين جمام (Jobling 1981: 107-110) وفي أثناء مسحه للمنطقة الجنوبية من معان في منطقة رأس النقب ذكر موقع عين أبو النسور وموقع عين جمام وسيل عين جمام ورجم عين القناة (**الشكل ٣**) (Jobling 1982: 199-200)، وفي المسح الذي أجراه جون ايدي عام ١٩٨٣م كشف عن جزء من الطريق الروماني المرصوف وبعض حجارة المسافات شمال شرق الحميمة (**الشكل ٢**)، وذكر منطقة رأس النقب وموقع أبو النسور وكان الهدف من المسح توثيق منابع المياه التي تغذي موقع الحميمة وعين القناة وتتبع مجرى المياه من القنوات التي نحتت في الصخر الرملي وغطيت بالألواح الحجرية (Eadie 1984: 214-217) وأجرى جون السون مسحا لمنطقة الحميمة تم التركيز على المنشات المائية مثل الينابيع والقنوات والآبار والسدود وعيون الماء مثل عين جمام وعين أبو النسور التي دمرت وتبعد ٢,٢٥كم إلى الجنوب الشرقي عن عين جمام التي كانت تنقل الماء إلى الحميمة عبر قنوات (**الشكل ٤**) (Oleson 1986: 256). في عام ١٩٩٢ قامت دائرة الآثار بأجراء مسوحات أثرية موسعة بدأت من منطقة القاسمية جنوب معان وحتى العقبة مرورا بمنطقة رأس النقب (**الشكل ٥**) فرصدت عددا من المواقع الأثرية وهي الحييض وأبو النسور وعين جمام ٣/٢ وقد أرخ موقع الحييض إلى العصرين النبطي والروماني وهو موقع كبير يقع على جانبي الطريق حيث يقع الجزء الأكبر منه غرب الطريق ومساحته ١٠٠ × ١٠٠م وأرخ موقع أبو النسور إلى العصور النبطية والرومانية والبيزنطية، وقد تعرض للتجريف واستخدم مكبا لمخلفات الطريق الحالي في أثناء عملية التجريف. أما موقع عين جمام /٢ فأرخ للعصرين النبطي والروماني ويقع بالقرب من عين جمام /١ الذي يعود بتأريخه إلى العصر الحجري الحديث ويلاحظ تأثر مواقع عين جمام بشكل عام بأعمال التجريف وتراكم الطمم الناتج عن سقوط مخلفات توسعة الشارع الرئيسي. ويعد موقع أبو النسور برج مراقبة مشرفا على موقع الحميمة (Bisheh 1993: 119-121). لقد حظيت تلك المواقع التي رصدت من مسوحات عام ١٩٩٢م بأعمال تنقيبات أثرية منظمة وموسعة

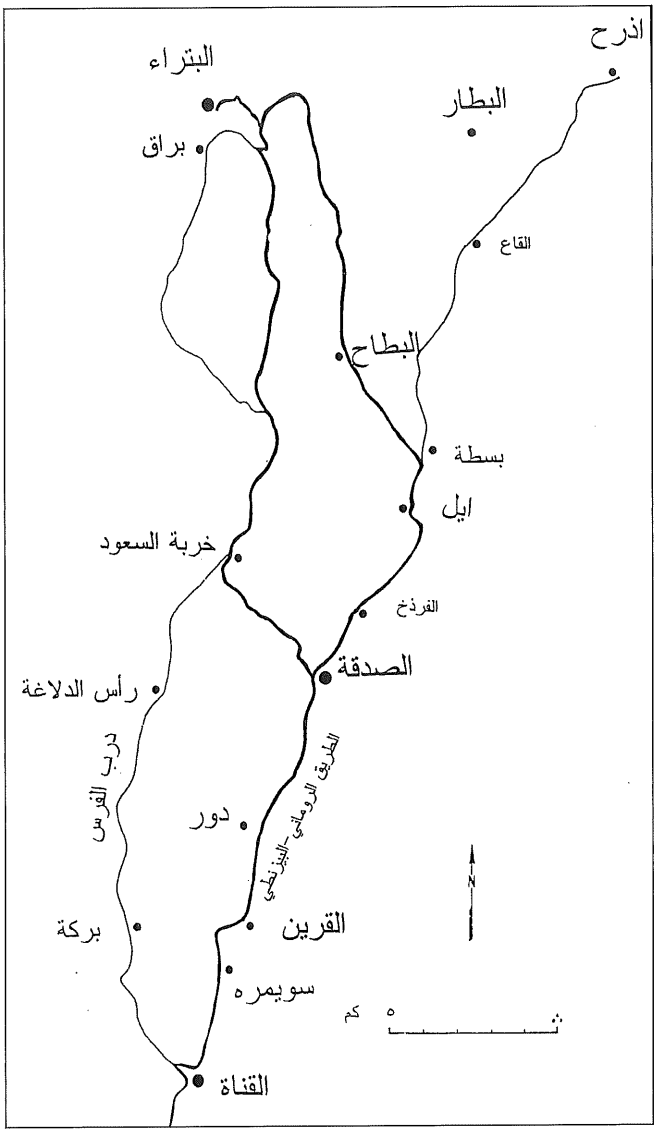

٢. خريطة تبين المواقع التي كان يمر منها الطريق الروماني في جنوبي معان.

شملت مواقع الحييض وأبو النسور وعين جمام عام ١٩٩٥م فكشف في موقع الحييض قرية زراعية كبيرة الحجم تمثل ذلك بالوحدات السكنية التي ظهرت والمعثورات الأخرى من مسكوكات وفخار، وموقع أبو النسور الذي كشف فيه عن عمارة سكنية تمثلت بالبيوت وغرف السكن بالإضافة للمباني ذات الطابع العسكري إذ وجد برج مراقبة يشرف على الحميمة في منطقة صحراء حسمى وموقع عين جمام ٣/٢ الذي يعد موقعا سكنيا يشرف على منطقة زراعية، بالإضافة لاعتباره نقطة مراقبة وحماية لمصادر المياه في منطقة رأس النقب مثل عين جمام وعين الشراة وعين القناة (Waheeb 1996: 339-345) (**الشكل ٥**).

المسح الأثري جنوب معان / رأس النقب

١- خربة الحييض: تقع في منطقة رأس النقب على الطريق المؤدي إلى العقبة، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٠٠م وتبلغ مساحتها ١٥دونم، تمثل قرية زراعية كبيرة تحيط بها السهول

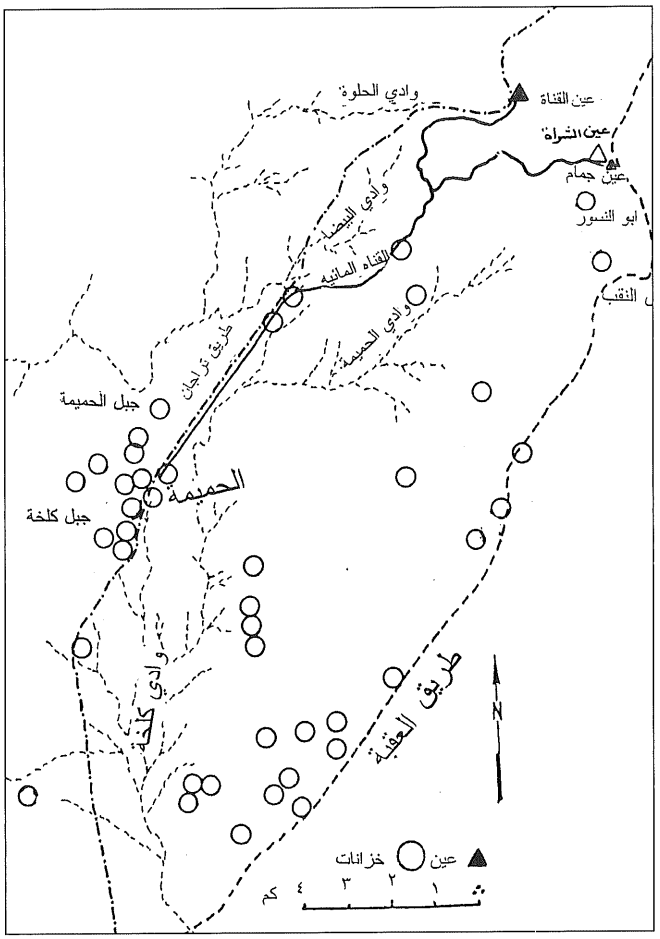

٣. خريطة تبين مواقع عيون الماء التي كانت تغذي المنطقة وتصل إلى الحميمة.

الزراعية، وتنتشر على سطحها بقايا جدران وكسر فخارية تعود للقرن الرابع الميلادي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٩٤٠٠ شرق، ٣٣٢٧٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٦،٣٠٠شرق، ٩٤٠،٢شمال. ذكرها جلوك وبيشة (**الشكل ٥**) (Glueck 1935: 67, site 56; Bisheh 1993:121).

٢- عين القنية /١: تقع على الطرف الشمالي للوادي القادم من بلدة طاسان، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٥٥م وتبلغ مساحتها ٢دونم، تمثل مستوطنة متوسطة الحجم أنشئت بالقرب من عين الماء التي جفت في الوقت الحاضر، عثر على ثلاثة مداميك من الحجارة الصوانية وأرخت الكسر الفخارية للعصرين الروماني والبيزنطي تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٤٠١٠٠شرق، ٣٢٧٩٠٠شمال، وضمن الإحداثي الفلسطيني ١٩٧،٠شرق، ٩٤١،٠ شمال (Glueck 1935: 65) (**الشكل ٦**).

٣- عين القنية/٢: تقع إلى الجنوب من عين القنية /١ ويفصل بينهما الوادي، ترتفع عن سطح البحر ١٤٥٥م وتبلغ مساحتها دونم واحد، تؤرخ للعصرين الروماني والبيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٤٠٢٠٠شرق، ٣٣٢٧٦٠٠شمال، وضمن الإحداثي الفلسطيني ١،١٩٧شرق ٩٤٠،٦ شمال، وذكرها جلوك (6 :

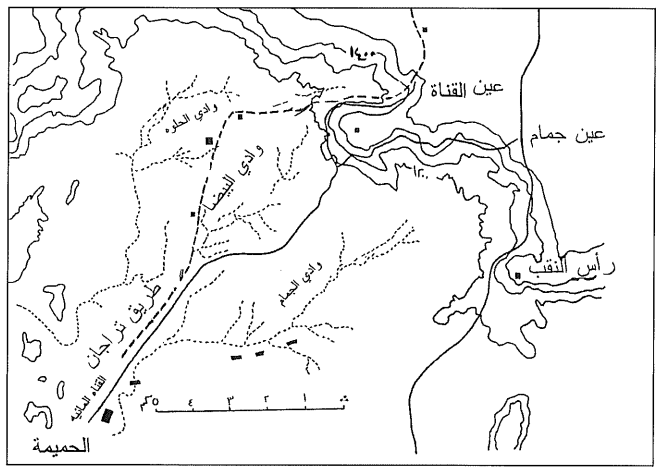

٤. مخطط طبوغرافي يظهر انتشار عيون الماء والارتفاعات التي تقع عليها عن مستوى سطح البحر.

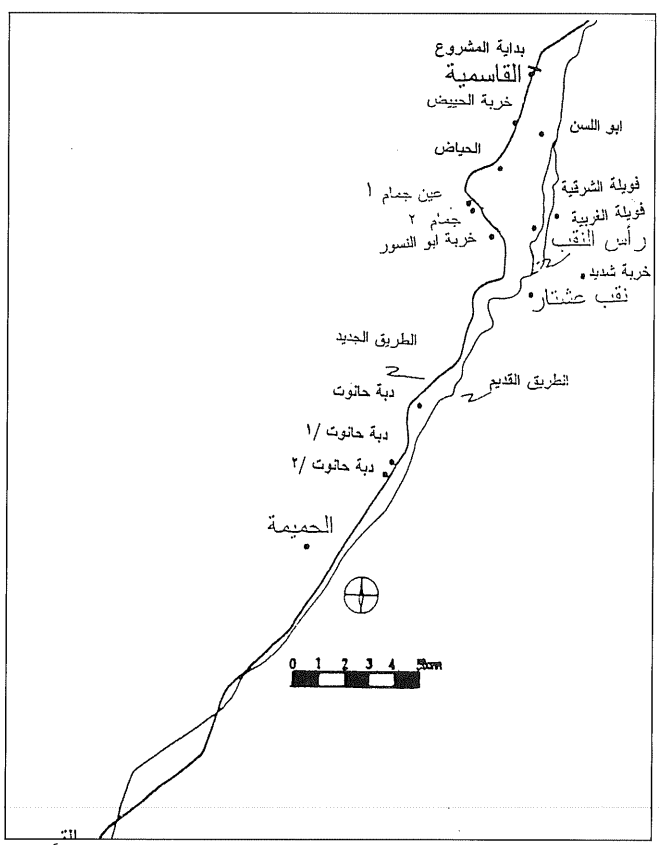

٥. خريطة تبين المواقع التي شملها المسح الذي جري عام ١٩٩٢ بكوادرمن دائرة الآثار.

Glueck 1935) (**الشكل ٦**).

٤- خربة سويمرة: تقع على الطريق الروماني وترتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٨٥م، مساحتها ٢٠دونم، ويعود تاريخها للعصرين الروماني والبيزنطي، وهي موقع كبير تمتد الأبنية لمساحات شاسعة، وتظهر جدران بارتفاع أربعة مداميك. عثر فيها على أرضية فسيفسائية بالإضافة لوجود نبع ماء وقنوات وبرك، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٨٤٠٠شرق، ٣٣٣١٢٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٥٠٤شرق، ٩٤٤٠٣شمال، ذكرها جلوك وجراف

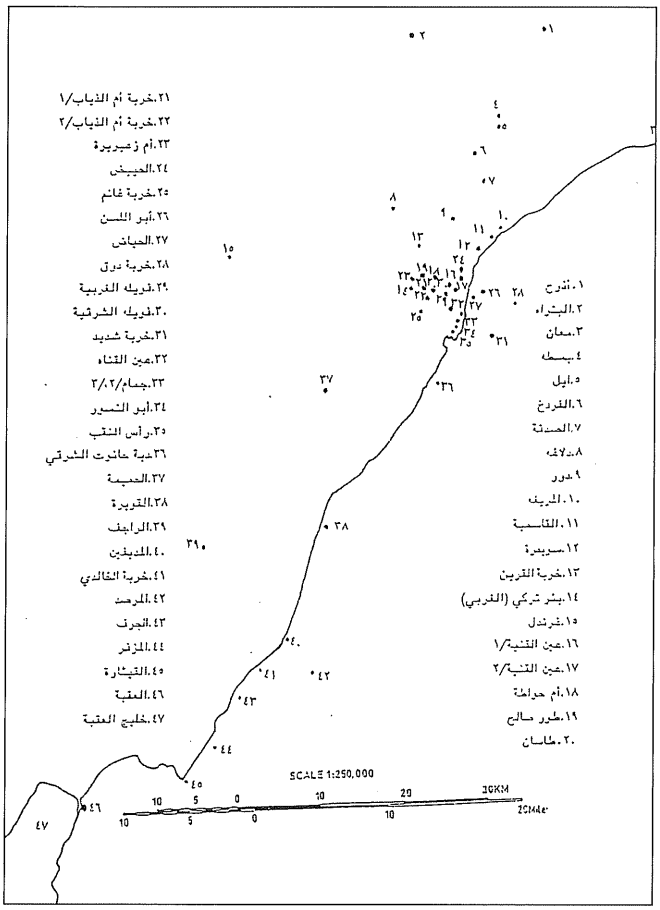

٦. المواقع الأثرية التي جرت فيها مسوحات أثرية في منطقة رأس النقب جنوبي معان حتى العقبة.

(Glueck 1935: 71, no.80; Graf 1995: 252-255) (**الشكل ٧**).

٥- خربة القرين: تعد واحدة من سلسلة المواقع الهامة في منطقة رأس النقب، ويمر منها الطريق الروماني، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٠٠م، مساحتها ٢٠دونم، بنيت من حجارة كلسية مشذبة كبيرة الحجم جدرانها مرتفعة تظهر للعيان مكونة من خمسة مداميك، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٨٣٠٠شرق، ٣٣٣٢١٠٠شمال، وضمن الإحداثي الفلسطيني ١٩٥٠٣شرق، ٩٤٥٠٢شمال، ذكرها جلوك وجراف (Glueck 1935: 70, no.73; Graf 1995: 252) (**الشكل ٧**).

٦- خربة المريغة: تعد من المواقع الكبيرة في منطقة رأس النقب، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٠٠م، مساحتها ٢٠دونم، يعود تاريخها للعصرين الروماني والبيزنطي، وتضم عددا من الأبنية المتهدمة. تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٢٠٦شرق، ٣٢٨٨٣شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٧٦٧شرق، ٩٠١٧شمال، ذكرها جلوك (Glueck 1935: 64, site 43) (**الشكل ٦**).

٧- خربة أم الذياب /١: تقع في منطقة سهلية خصبة بجانب الوادي، تعد من المواقع الزراعية الهامة في منطقة سهول طاسان،

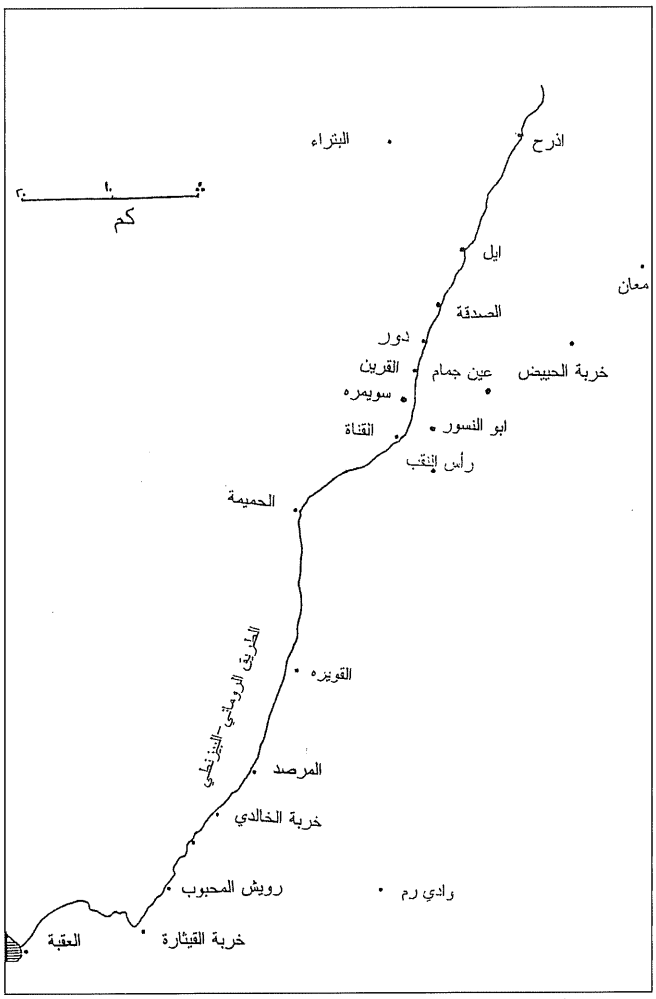

٧. المواقع الأثرية التي جرت فيها مسوحات أثرية في منطقة رأس النقب.

ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٨٥م، تبلغ مساحتها ٢٠٠ × ١٠٠م، ويعود تاريخها إلى العصرين الروماني والبيزنطي، وتقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٩١٠٠شرق، ٣٣٢٧٤٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٦,٠شرق، ٩٤٠,٥شمال، ذكرها جلوك (Glueck 1935: 67, site 55) (**الشكل ٦**).

٨- خربة أم الذياب/ ٢: تقع إلى الجنوب من موقع أم الذياب /١ على سفح تلة وترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٢٠م، تبلغ مساحتها ٤دونمات، ويعود تاريخها إلى العصرين الروماني والبيزنطي، ويلاحظ وجود أساسات أبنية من الحجارة الكلسية بارتفاع أربعة مداميك. ويحيط بها سهول زراعية، وتقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٨٧٠٠شرق، ٣٣٢٧٠٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٥,٦شرق، ٩٤٠٠١ شمال، وقد ذكرها جلوك (Glueck 1935: 67, site 55) (**الشكل ٦**).

٩- خربة طاسان: تنتشر بقايا الموقع بالقرب من التقاء واديين وبالقرب من نبع ماء، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٢٠م، تبلغ مساحتها ١٠ دونمات، ويعود تاريخها للعصرين الروماني والبيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٧٧٠٠ شرق، ٣٣٢٧٩٠٠ شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٤,٦شرق، ٩٤١,١شمال، وقد ذكرها جلوك (Glueck 1935: 67, site 54) (**الشكل ٦**).

١٠- خربة أبو اللسن: تمثل موقع كبير، تنتشر بقاياه الأثرية على سفح منطقة جغرافية واسعة مطلة على وادي، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٠٠م، تبلغ مساحتها ٢٠دونم، يعود تاريخها للعصرين الروماني والبيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٤٠٤شرق، ٣٣٢٦٦شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٧,٢شرق، ٩٣٩,٧شمال، ذكرها جلوك وبيشة (Glueck 1935: 62, site 39; Bisheh 1993: 126) (**الشكل ٦**).

١١- موقع فويلة الشرقية: يقع بالقرب من خربة أبو اللسن ويرتفع عن سطح البحر ١٥٤٠م، مساحته ١٠دونمات، ويظهر بقايا أساسات وجدران متهدمة من الحجارة الكلسية، يعود تاريخها للعصر البيزنطي، يقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٤١٠٠شرق، ٣٣٢٣٣شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٧٠٨٠٠شرق، ٩٣٦٠٣٠٠شمال، ذكر الموقع كل من جلوك وبيشة وهارت وفالكنر (Glueck 1935: 60, site 33) (Hart and Flkner 1985: 269; Bisheh 1993: 126) (**الشكل ٦**).

١٢- موقع فويلة الغربية: تقع إلى الغرب من طريق النقب القديم بـ٥٠٠ م فوق تله متوسطة الارتفاع، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٣٠م، مساحتها دونمين يعود تاريخها إلى العصرين الروماني والبيزنطي، حيث تظهر بعض الجدران بارتفاع ثلاثة مداميك، يجري بالقرب منها نبع ماء، يقع ضمن الإحداثي العالمي ٣٣٢٣٠شرق، ٧٤٠١شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٦٠٨٩٤شرق، ٩٣٦٠٤٠شمال، ذكرها كل من جلوك وبيشة وهارت وفالكنر (Glueck 1935: 60, site 32) (Bisheh 1993: 126; Hart and Flkner 1985: 269) (**الشكل ٦**).

١٣- خربة الحياض: تقع جنوب غرب الحييض، تعد مستوطنة زراعية كبيرة يجري بالقرب منها نبع ماء، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٨٠م، تبلغ مساحتها ٢٠ دونم، تعود بتاريخها إلى العصر الروماني والعصر البيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٣٣٢٥٣شرق، ٧٣٨٦شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٥٠٤٤٠شرق، ٩٣٨٠٣٦٨شمال، ذكرها بيشة (Bisheh 1993: 126) (**الشكل ٥**).

١٤- برج الحييض: موقع صغير يقع على تلة مرتفعة إلى الجنوب الغربي من موقع الحييض، يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٠١م، يعود بتاريخه إلى العصر الروماني والعصر البيزنطي، بني من حجارة كلسية وصوانية، يمثل نقطة استطلاع لمراقبة الطرق المجاورة، يقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٩٠٠٠ شرق، ٣٣٢٦٦٠٠ شمال،

والإحداثي الفلسطيني ١٩٥٠٩شرق، ٩٣٩٧ شمال، وذكره جلوك (Glueck 1935: 67) (**الشكل ٥**).

١٥- بئر تركي الغربي: يقع في منطقة سهلية إلى الشرق من الشارع المؤدي إلى منطقة الراجف. تنتشر بقايا الموقع على مساحة واسعة، مساحته ٤-٦ دونمات، يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٦٠٥م، يعود بتاريخه للعصر البيزنطي، يقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٥٤٠٠شرق، ٣٣٢٨١٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٢٠٣شرق، ٩٤١٢ شمال (**الشكل ٦**) (Glueck 1935: 66, site 49).

١٦- طور صالح: يمثل مستوطنة صغرى على الجبال المطلة على وادي طاسان، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٦٠م، تبلغ مساحته من ٤-٦ دونمات، يعود بتاريخه إلى العصر البيزنطي حيث تظهر بقايا معمارية تمثل عدد من الحجرات المتهدمة، يقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٦٩٠٠شرق، ٣٣٢٨١٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٣,٨شرق، ٩٤١,٢ شمال (**الشكل ٦**).

١٧- أم زعيريرة: مساحتها دونما واحدا تعود بتاريخها للعصر البيزنطي، تمثل بقايا خربة صغيرة متهدمة ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٦٥م وتقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٦٤٠٠شرق، ٣٣٢٧٧٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٣,٣شرق، ٩٤٠,٨شمال (**الشكل ٦**).

١٨- ام حواطة: تنتشر بقايا مستوطنة كبيرة على مساحة شاسعة، تحيط بها السهول الزراعية والأراضي الخصبة، مساحتها دونمين ويعود تاريخها إلى العصر البيزنطي، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٦٠م، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٧٣٠٠شرق، ٣٣٢٧٩٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٤,٢شرق، ٩٤١,٠شمال، ذكرها جلوك (Glueck 1935: 67) (**الشكل ٦**).

١٩- خربة عطية: تقع على منطقة جبلية مرتفعة تشرف على موقع فجير القناة وترتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٨٠م، مساحتها ٤ دونمات ويعود تاريخها للعصر البيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٥٤٠٠شرق، ٣٣٢٥٧٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٢,٢شرق، ٩٣٨,٨شمال، ذكرها جلوك (Glueck 1935: 68, site 57).

٢٠- خربة غانم: تمثل بقايا مستوطنة زراعية كبرى تحيط بها السهول والينابيع وترتفع عن مستوى سطح البحر ١٦٢٥م، مساحتها ٢-٤دونم، يعود تاريخها إلى العصر البيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٦٧٠٠شرق، ٣٣٢٩٠٠شمال، وضمن الإحداثي الفلسطيني ١٩٣,٦شرق، ٩٤٠,٠شمال، ذكرها جلوك (Glueck 1935: 67) (**الشكل ٦**).

٢١- خربة علاوة: تمثل جزءا من مستوطنة كبرى ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٩٠م، مساحتها ٢دونم، يعود تاريخها للعصر البيزنطي. حيث تنتشر على مساحة واسعة، وتقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٤٤٠٠شرق، ٣٣٢٧٩شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩١,٢شرق، ١,٩٤١شمال، ذكرها جلوك (Glueck 1935: 68, site 58).

٢٢- خربة القناة :تقع بالقرب من نبع ماء جار ولقد تعرض الموقع للعبث الشديد بسبب القرب من مجرى المياه، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٣٦٠م، تبلغ مساحتها ٢دونم، يعود تاريخها للعصرين الروماني والبيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٥٦٠٠شرق، ٣٣١٣٩٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٢,٤شرق، ٩٣٧,٠شمال، وجد في المنطقة بعض حجارة المسافات، ذكرها جلوك وجراف (Glueck 1935: 65, no.47; Graf 1995: 246) (**الشكل ٧**).

٢٣- جمام /٢: يقع إلى الغرب من الطريق الرئيسي المؤدي إلى العقبة، يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٧٠م، مساحته ٢دونم، يعود بتاريخه إلى العصرين الروماني والبيزنطي حيث يبعد عن عين جمام /١ ٣٠٠م باتجاه الشرق، يقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٧٨شرق، ٣٣٢٣٩شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٤,٨شرق، ٩٣٧,٠شمال، ذكرها جلوك وجوبلنج وبيشه (Glueck 1935: 65; Jobling 1982: 199; Bisheh 1993: 121) (**الشكل ٥**).

٢٤- جمام /٣: يقع بالقرب من جمام /٢في الجهة الجنوبية الشرقية ويبعد عنه بضعة أمتار، يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٥٠م، يعود تاريخه إلى العصر البيزنطي، يقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٦٩٠٠شرق، ٣٣٢٥١٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٣,٧شرق، ٩٣٨,٢شمال (Jobling 1982: 199) (**الشكل ٥**).

٢٥- خربة أبو النسور/١: تقع إلى الغرب من الطريق المؤدي إلى العقبة على حافة مشرفة على وادي الحميمة ووادي جمام، ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٠٠م، مساحتها ١٠دونمات، تمثل مستوطنة رئيسية في منطقة رأس النقب، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٨٦شرق، ٣٣٢٢٦شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٥,٦شرق، ٩٣٥,٨شمال، ذكرها جلوك (**الشكل ٥**) (Glueck 1935: 65, site 44; Bisheh 1993: 121).

٢٦- أبو النسور /٢: يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٥٠م، مساحته دونم واحد، تمثل عدد من المصاطب الحجرية التي أقيمت على سفوح الهضاب الواقعة شمال موقع أبو النسور /١، بهدف استصلاح الأرض وتخزين المياه، يعود تاريخه للعصرين الروماني والبيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٩٣٠٠ شرق، ٣٣٢٣٠٠٠ شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٥,١شرق، ٩٣٦,١ شمال، ذكره جلوك (Glueck 1935: 65) (**الشكل ٥**).

٢٧- أبو النسور /٣: يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٥٥٠م،

يعود تاريخه للعصرين الروماني والبيزنطي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٣٩١٠٠شرق، ٣٣٢١٠٠شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٥,٩شرق، ٩٣٦,٢شمال، ذكره جلوك (Glueck 1935: 65) (**الشكل ٥**).

٢٨- نقب عشتار: يقع على تلة مشرفة على المناطق المجاورة وينتشر حوله عدد من الخزانات وأبنية أخرى تابعة له، البناء الرئيسي مستطيل الشكل، ترتفع أسواره الخارجية ثلاثة مداميك، يرتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٢٠م، مساحته ٣ دونمات، يعود تاريخه للعصرين الروماني والبيزنطي تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٤٠٠شرق، ٣٣٢٠٤شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٥,٧شرق، ٩٣٢,٢شمال، ذكره جلوك (Glueck 1935: 11; Bisheh 1993: 121) (**الشكل ٥**).

٢٩- خربة شديد: تقع على قمة ترتفع عن مستوى سطح البحر ١٦٠٠م، مساحتها ٣ دونمات، يعود تاريخها للعصرين الروماني والبيزنطي، تمثل بقايا معمارية بنيت من الحجارة الصوانية، أحيط البناء بسور خارجي، تقع ضمن الإحداثي العالمي ٧٤٢٠شرق، ٣٣٢١١شمال، والإحداثي الفلسطيني ١٩٨,٨٠٠شرق، ٩٣٤,١٠٠شمال، ذكرها جلوك (Glueck 1935: 60, site 34) (**الشكل ٥**).

التنقيبات الأثرية

أولا: خربة الحييض

تقع خربة الحييض جنوب محافظة معان بـ٣٠كم، وهو موقع كبير يقع على جانبي الطريق المؤدي إلى العقبة حيث يقع الجزء الأكبر منه غرب الطريق (**الشكل ٨ و٩**)، مساحته ١٥ دونما ويرتفع عن مستوى سطح البحر ١٤٠٠م، محاط بالجبال من الجهة الغربية والشرقية، وتظهر بقايا لبرج مراقبة على الجبال الغربية مشرفا على موقع الحييض وأسفل التلة التي تقع عليها الخربة، كما ويمتد واد يحمل المياه من النبع الواقع بجانب الموقع، حيث تنتشر الأعشاب التي تكسو الوادي في فصل الربيع، وتظهر في الجهة الجنوبية الغربية بقايا قنوات مبنية بوساطة حجارة كلسية صغيرة الحجم تمتد لمسافات طويلة تؤدي إلى خزان ماء كبير مسقوف ببلاطات حجرية محمولة على عدد من العقود، ويعتقد بأن هذه القنوات كانت تجلب المياه من النبع لتجميعها في هذا الخزان. وفي نفس مجرى الوادي في الجهة الشمالية الغربية وجد بقايا بناء حجري شيد باستخدام حجارة كلسية كبيرة الحجم تغلق مجرى الوادي ربما استخدمت لحجز مياه النبع الجارية خلفها لاستخدامها صيفا لري الأراضي المزروعة المجاورة للموقع.

تقع الحييض على تلة قليلة الارتفاع ينتشر حولها في الجهة الشمالية أراض سهلية ما زالت تستغل في زراعة الحبوب والأشجار المثمرة كالتفاح وربما كانت تستغل في الفترة الرومانية المتأخرة لنفس الغاية وذلك بكشف أدوات حجرية متعددة الأغراض كالصحون الحجرية الكبيرة والمدقات والجواريش البازلتية. وتتوافر في المنطقة تربة صالحة للزراعة ومناخ حار جاف صيفا وماطر بارد شتاء بالإضافة للينابيع ومجاري السيول (الشامي ١٩٩٧: ٢٣-٢٤).

كشف عن ثلاث وحدات سكنية بنيت من الحجر الكلسي المشذب

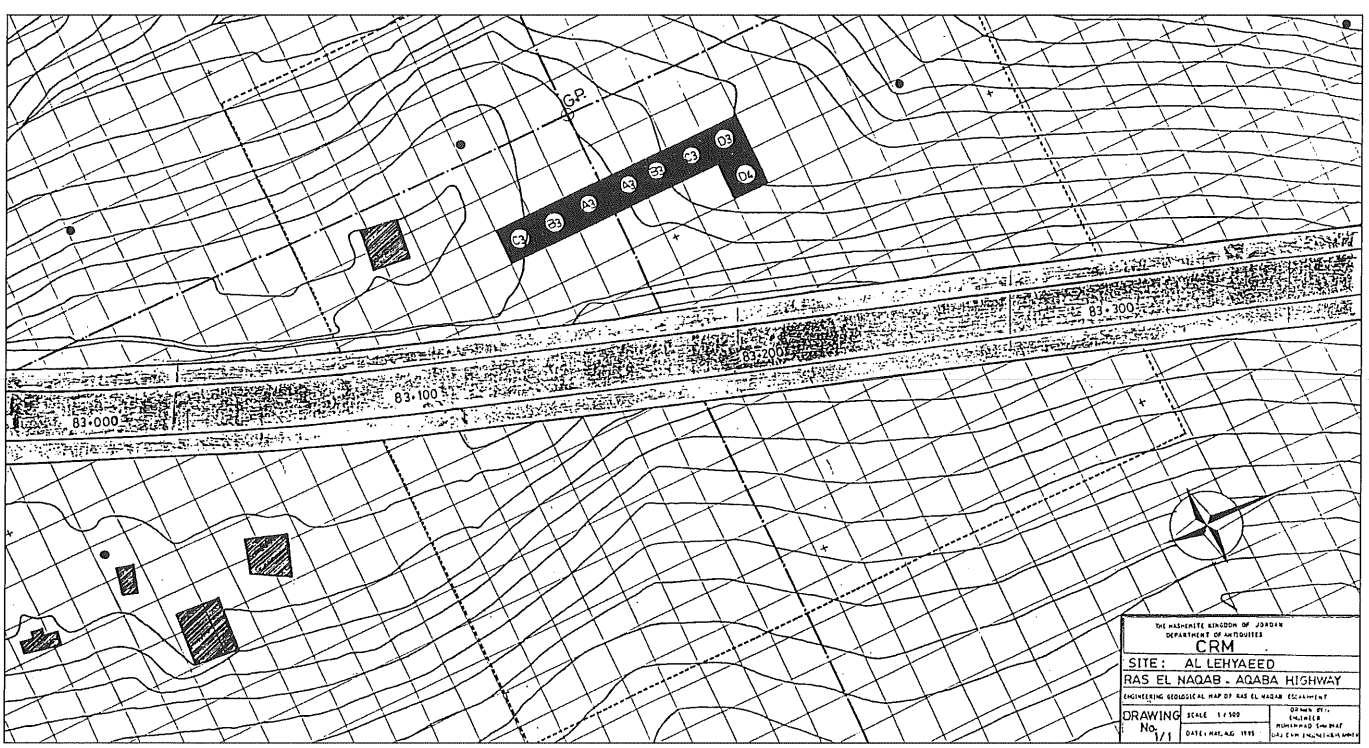

٨. مخطط طبوغرافي يظهر خربة الحييض بالقرب من الشارع الرئيسي بين جنوب معان والعقبة.

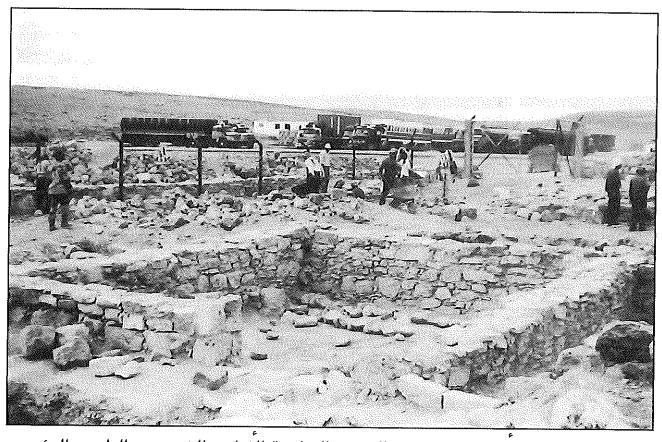

٩. موقع الحييض أثناء التنقيب في الوحدة السكنية الأولى بالقرب من الطريق الرئيسي المؤدي للعقبة.

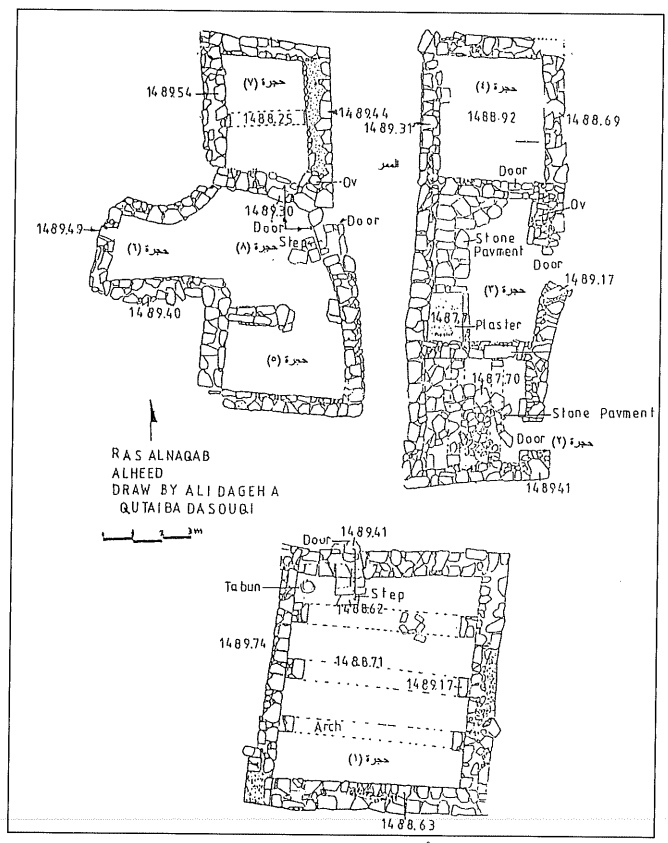

١٠. مخطط الوحدة السكنية الأولى من العمارة التي كشف عنها في خربة الحييض عام ١٩٩٥.

وهي كما يلي

الوحدة السكنية الأولى: تضم ثماني حجرات (**الشكل ١٠**) فالحجرة الأولى مساحتها ٦,٤٥×٦,٣٠م، مربعة الشكل مدخلها بعرض ١,٢٥م، بنيت الجدران بتقنية صفين متقابلين من الحجارة وغطيت الجدران بطبقة من الملاط الكلسي وأضيفت المونة لتثبيت المداميك. لقد حمل سقف الحجرة بوساطة ثلاثة عقود باستخدام حجارة كلسية مشذبة أما أرضيتها فكانت مغطاة ببلاطات حجرية ما زال يظهر بعضها في الزاوية الشمالية الغربية، وكشف عن مسكوكات برونزية وحجارة طحن وكسر فخارية، تميزت هذه الحجرة بأتساعها وربما استخدمت للجلوس / مضافة. والحجرة الثانية مساحتها ٣,٦٥ × ٣,٥٠م، مربعة الشكل مدخلها بعرض ٩٠سم، كان يحمل السقف عقدان ما زالت بقاياه ماثلة، وغطيت الأرضية ببلاطات حجرية، وهي حجرة للسكن. أما الحجرة الثالثة فمساحتها ٤,٩٠ × ٣,٥٠م، مستطيلة الشكل ومدخلها بعرض ٩٠سم، يظهر أن هذه الحجرة كانت معدة لتنفيذ بعض الأعمال الصناعية المنزلية فقد كشف بداخلها في الزاوية الجنوبية الغربية عن حوض مبني من الحجر الكلسي المشذب مستطيل الشكل بطول ٢م وعرض ١,٦٥م وبعمق ٤٥سم، غطيت جدرانه بطبقة بيضاء من الملاط الكلسي وأرضيته مبلطة بألواح من الحجر الكلسي تعلوها طبقة سميكة من الملاط الكلسي ربما استخدم لحفظ نوع من السوائل. كما تم الكشف عن مبنى فرن من الحجر الكلسي المشذب في الزاوية الشمالية الشرقية مجاور للمدخل بعرض ١,١٠م وارتفاع ١,٧٠م وعمق ٥٠سم، ووجدت مدخنة بيضاوية في أعلى سطح الجدار الشرقي، كما عثر بداخل الفرن على طابون قطره ٣٥سم وعمقه ١٤سم مكون من طبقتين من الطين المجفف الداخلية رقيقة والخارجية سميكة أنشئ فوق أرضية مرصوفة بالحصى الصغير وتنتشر أمامه طبقة سميكة من الرماد (**الشكل ١١ و١٢**). لقد اختلف هنا

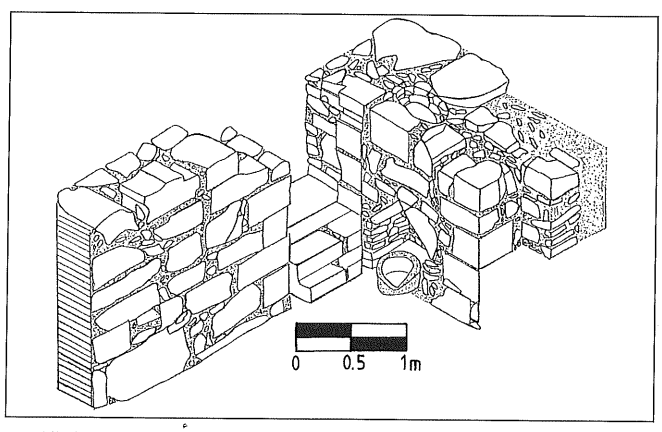

١١. مخطط لمبنى الفرن في خربة الحييض الوحدة السكنية الأولى الحجرة الثالثة في الزاوية الشمالية الشرقية.

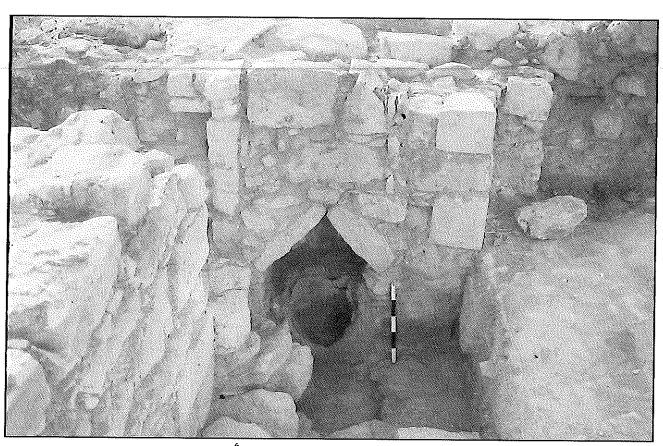

١٢. مبنى الفرن في الحجرة الثالثة من الوحدة السكنية الأولى.

نظام التسقيف عن الحجرات السابقة إذ وجدت جدران تنحني للداخل مما يعطي مؤشرا إلى اتباع نظام السقف نصف البرميلي، وكشف عن أرضية مبلطة بالألواح الحجرية المغطاة بعدة طبقات من الملاط الكلسي، ويفسر وجود أكثر من طبقة للأرضية بأن بعض الأجزاء تتأثر أثناء الاستعمال المتكرر فيصار إلى إضافة طبقة أخرى، أو أنها استخدمت أكثر من مرة في فترة واحدة. وعثر على الأرضية مسكوكتان برونزيتان وربما تكون هذه الحجرة قد أدت وظيفة المطبخ. أما الحجرة الرابعة فمساحتها ٣,٦٥×٣,٦٠م مربعة الشكل مدخلها بعرض ٨٠سم وكان السقف محمولا على عقود من خلال الكشف على بقايا عقد واحد، استخدمت الحجرة للسكن. أما الحجرة الخامسة فمساحتها ٣,٨٠م × ٢,٢٠م مستطيلة الشكل عرض المدخل ١م، لم يعثر على أية دلائل للعقود التي كانت تحمل السقف أو أنها سقفت بالعوارض الخشبية، وأرضية الحجرة ترابية صلبة. أما الحجرة السادسة فمساحتها ٣,٨٠م × ٢,٣٠م مستطيلة الشكل ولم يعثر على أية دلائل للعقود التي كانت تحمل السقف أو أنها سقفت بالعوارض الخشبية وأرضية الحجرة ترابية صلبة ربما استخدمت للتخزين. أما الحجرة السابعة مساحتها ٣,٦٥م × ٢,٧٠م مستطيلة الشكل مدخلها بعرض ٦٠سم، وكان السقف محمولا على عقود من خلال الكشف على بقايا عقد واحد، وأرضية الحجرة ترابية صلبة كان قد أنشئ فوقها فرن في الزاوية الجنوبية الشرقية ضمن الجدار الشرقي وهو مشابه للفرن الذي وجد في الحجرة الثالثة بارتفاع ١م لكنه أصغر حجما وأقل اتقانا والطابون محطم بداخله وقطر فتحة المدخنة ٣٠سم ربما تكون الحجرة استخدمت مطبخا. أما الحجرة الثامنة فهي ساحة تطل عليها الحجرات (٥، ٦، ٧)، عرض المدخل ٨٠سم ولا تظهر دلائل تشير إلى كيفية سقف هذه الحجرة وهل كان السقف محمولا على عقود أم أنها سقفت بالعوارض الخشبية (الشامي ١٩٩٧: ٢٥-٣٢).

الوحدة السكنية الثانية: وتشتمل على ثلاث حجرات (**الشكل ١٣**) فالأولى مساحتها ٥,٩٠م × ٥,٤٠م، مربعة الشكل مدخلها بعرض ٧٤سم، حمل السقف من خلال عقدين، أرضية الحجرة ترابية كشف فيها عن سراجين فخاريين ومسكوكتين برونزيتين والعديد من الأدوات الحجرية التي كانت تستعمل لطحن وجرش الحبوب ومدقات وحوض حجري مستطيل أبعاده ٦٠ × ٣٢ × ٣٢سم، وربما تكون الحجرة للخزين. أما الحجرة الثانية فمساحتها ٤,٧٠ × ٣,٥٠م، مستطيلة الشكل مدخلها بعرض ٧٠سم، واستخدم نظام العقود لسقف الحجرة ظهر ذلك بوجود بقايا عقدين لحمل السقف. أرضية الحجرة ترابية عثر فيها على أدوات حجرية كانت تستعمل لطحن وجرش الحبوب وربما تكون الحجرة قد استخدمت للتخزين. أما الحجرة الثالثة فمساحتها ٤,٨٠ × ٢,٢٠م مدخلها بعرض ٧٠سم، واستخدم نظام العقود لسقف الحجرة ظهر ذلك بوجود بقايا عقدين لحمل السقف. أرضية الحجرة ترابية عثر فيها على أدوات حجرية كانت تستعمل لطحن وجرش الحبوب وربما تكون الحجرة قد استخدمت للتخزين (الشامي ١٩٩٧: ٢٦-٣٤).

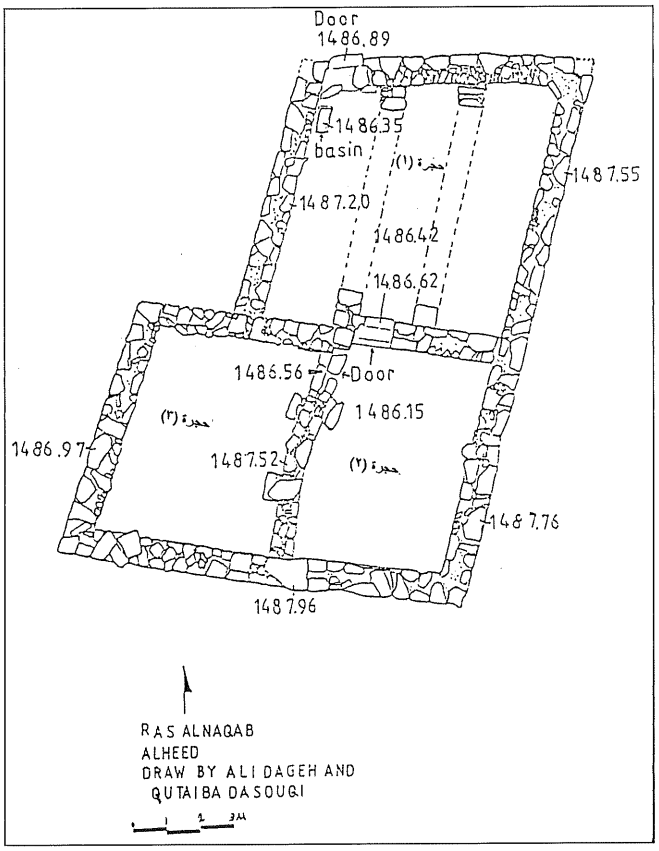

١٣. مخطط الوحدة السكنية الثانية من العمارة المكتشفة في خربة الحييض.

الوحدة السكنية الثالثة: تشتمل على خمس حجرات (**الشكل ١٤-١٥**)، فالحجرة الأولى مساحتها ٣ × ٣م، مربعة الشكل، مدخلها بعرض ٧٣سم بني من حجارة كلسية متوسطة الحجم شذبت بإتقان وأضيفت مادة الملاط الكلسي لتثبيت المداميك، وتظهر التجاويف على جانبي المدخل لتثبيت الباب. لا تظهر آثار تدل على طريقة تسقيف الحجرة، وربما سقفت بجذوع الأشجار، أرضيتها أسمنتية أنشئ عليها موقد صغير شبه دائري قطره ٣٠سم محاط بطبقة سميكة من الرماد، وعثر على مسكوكات برونزية وسراج فخاري وبعض القطع الحديدية والمسامير والفحم والعظام الحيوانية، وهذه الحجرة تمثل ساحة تطل عليها مداخل الحجرات الأخرى المجاورة (٢، ٣، ٤). أما الحجرة الثانية فمساحتها ٣ × ٣م، مربعة الشكل مدخلها بعرض ٧٤سم، لم تظهر أية دلائل لوجود العقود فربما كالحجرة السابقة سقفت بجذوع الأشجار، غطيت الأرضية بالبلاطات الحجرية ما زال جزء منها في الجهة الغربية، عثر بداخلها على عدد من الأسرجة الفخارية، استخدمت هذه الحجرة للسكن (**الشكل ١٦**). أما الحجرة الثالثة فمساحتها ٤,٦٠ × ٤,٥٠م، مربعة الشكل مدخلها بعرض ٧٢سم، وجدت ثلاثة عقود كانت تحمل السقف، وربما أن الأرضية كانت مبلطة بألواح حجرية إذ يظهر بعض البلاطات أسفل قواعد العقود التي تحمل السقف. تميزت الحجرة بوجود حوض كبير مستطيل الشكل يقع في الجهة الشمالية تم تقسيمه إلى قسمين طوله

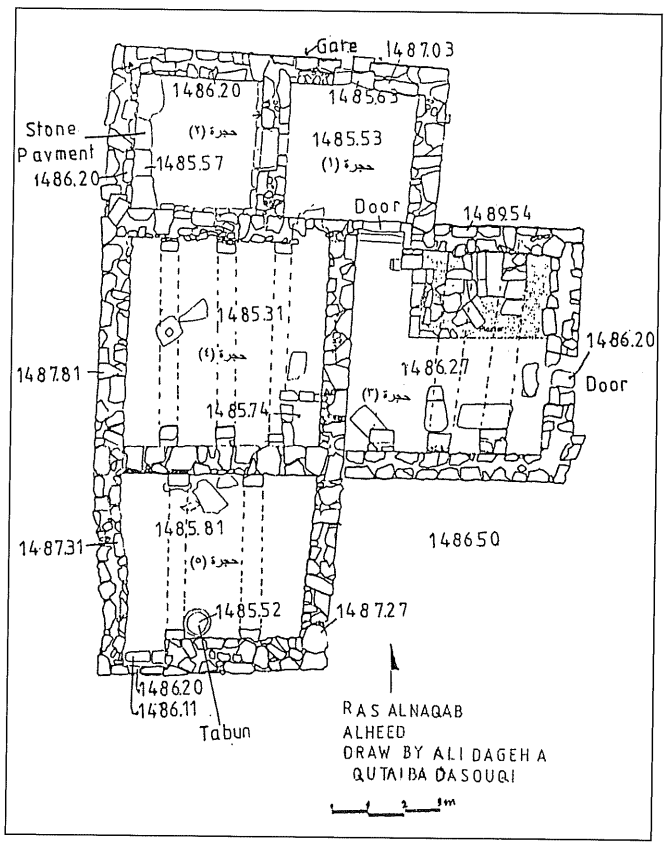

١٤. مخطط الوحدة السكنية الثالثة من العمارة المكتشفة في خربة الحييض.

١٥. منظر عام للعمارة المكتشفة في الوحدة السكنية الثالثة من موقع الحييض.

٢,٦٠م وعرضه ٢م بعمق ٣٠سم، وجدت بقايا قصارة من الملاط الكلسي كانت تغطي الحوض كاملا (**الشكل ١٧**). وعثر على عددا من الأسرجة الفخارية ربما أن هذه الحجرة قد أدت وظيفة إنتاج مادة سائلة كالنبيذ مثلا. أما الحجرة الرابعة فمساحتها ٤,٦٠× ٤م، مستطيلة الشكل مدخلها بعرض ٦٠سم، كشف عن بقايا ثلاثة عقود كانت تحمل السقف بالإضافة لبعض البلاطات الحجرية تبلغ مساحتها ١م × ٣٥سم كانت تغطي المساحة المكشوفة بين العقود وعثر أيضا على بلاطات فخارية مستطيلة مساحتها ٢٢ × ١٢سم عليها بقايا ملاط كلسي ربما استعملت عنصرا

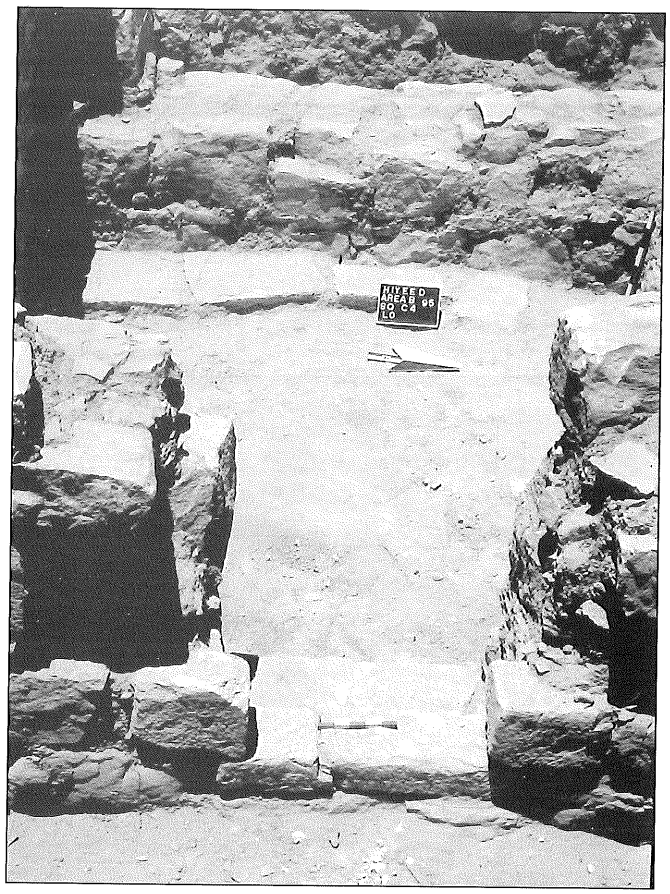

١٦. الحجرة الثانية من الوحدة السكنية الثالثة في موقع الحييض.

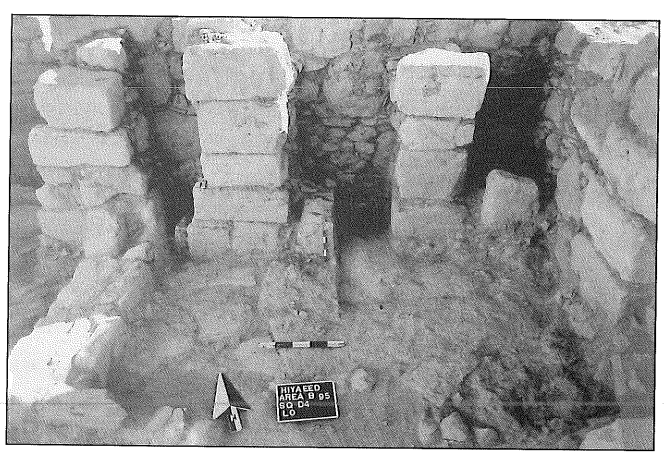

١٧. الحجرة الثالثة من الوحدة السكنية الثالثة وبداخلها حوض مغطى بمادة البلاستر.

زخرفيا لتغطية السقف من الداخل. غطيت الأرضية بالبلاط الحجري وفي الزاوية الجنوبية الشرقية أقيمت مسطبة مستطيلة مساحتها ١ × ١٣٠ × ٤٠سم، قد تكون استخدمت كطاولة أو رف لوضع الأدوات الفخارية المستخدمة بشكل يومي (**الشكل ١٨**). أما الحجرة الخامسة مساحتها ٤,٧٥ × ٤,٤٠م، مربعة الشكل مدخلها بعرض ٨٠ سم، حمل السقف على عقدين وغطيت الأرضية ببلاطات حجرية، وفي الزاوية الجنوبية الغربية عثر على طابون صغير قطره ٣٠سم، ومعثورات أخرى

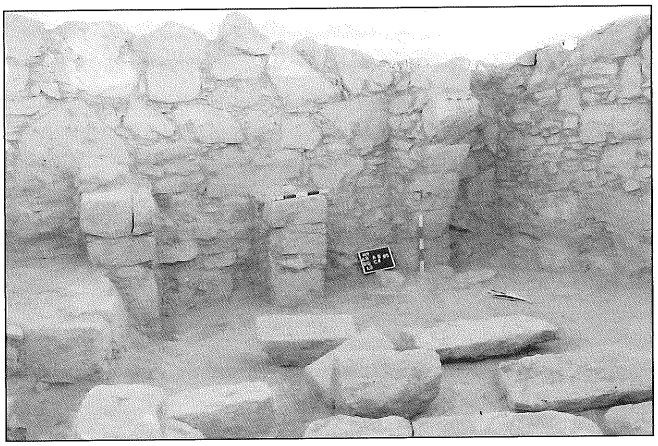

١٨. الحجرة الرابعة من الوحدة السكنية الثالثة في موقع الحييض.

من مسكوكات برونزية وسراج فخاري (الشامي ١٩٩٧: ٣٤-٤١).

ثانيا: موقع عين جمام

يقع موقع عين جمام إلى الجنوب من محافظة معان بـ ٤٠كم، ويقع الموقع

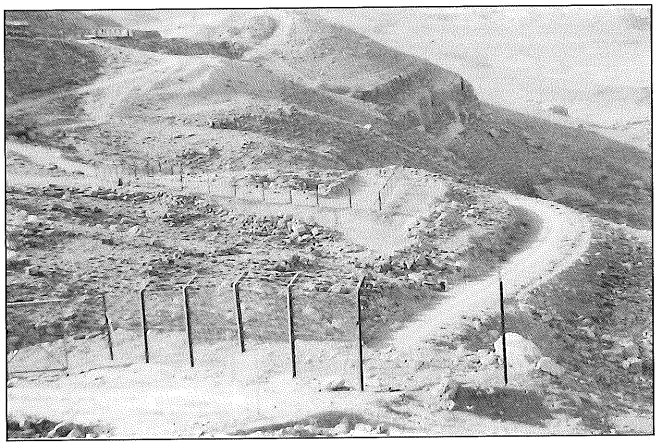

٢٠. موقع عين جمام/ ٢ أسفل الطريق الرئيسي المؤدي إلى العقبة بعد إحاطته بالسياج.

الأثري جنوب الطريق الرئيسي المؤدي على العقبة (**الشكل ١٩و٢٠**)، حيث استوطنت مواقع عين جمام في العصر الحجري الحديث من خلال مكتشفات عين جمام / ١، وتشرف مواقع عين جمام على الوادي المؤدي إلى الحميمة، حيث يقع على سفح تله مرتفعة مشرفة على منطقة زراعية

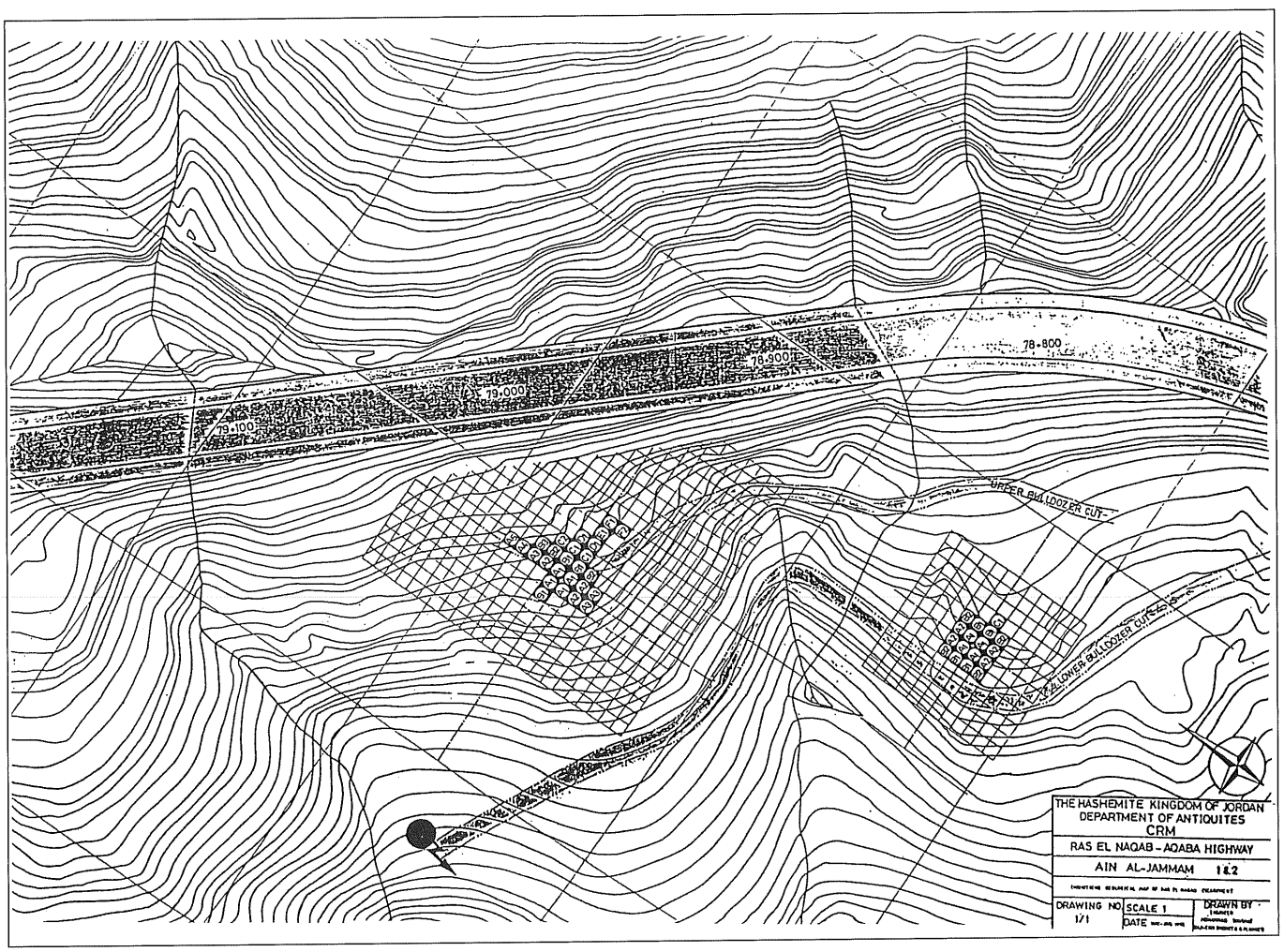

١٩. مخطط طبوغرافي يظهر مواقع عين جمام بالقرب من الشارع الرئيسي بين جنوب معان والعقبة.

تنتشر فيها زراعة الأشجار المثمرة كالتين والرمان والكرمة، كما زرعت أيضا بالحبوب في المناطق السهلية على جانبي الوادي الذي يجر المياه الساقطة من قمم الجبال في فصل الشتاء، بالإضافة لجريان المياه من العين طوال العام حيث كانت تستغل لري الأراضي. ويقع نبع عين جمام الذي يغذي المنطقة إلى الجنوب الغربي من الموقع في أسفل التلة التي أنشئت عليها مواقع عين جمام.

ثالثا: موقع عين جمام /٢ (الشكل٢١)

القسم الجنوبي: يحتوي على ثلاث حجرات، الحجرة الأولى مساحتها ٨,١٥ × ٤م، مدخلها بعرض ١م، سقفت بعقدين من الحجارة الكلسية المشذبة والأرضية ترابية صلبة عثر فيها على رأسان من السهام المعدنية. أما الحجرة الثانية فمساحتها ٥,٨٥ × ٥,٤٠م، ومدخلها بعرض ٥٥سم، سقفت بواسطة العقود إذ ما زال يظهر بقايا عقد واحد، والأرضية ترابية صلبة تضم أربعة مواقد صغيرة مدمرة، وكانت الحجرة تضم عددا من التقسيمات البنائية صغيرة الحجم لخزن المنتوجات الزراعية مثل الحبوب. أما الحجرة الثالثة فمساحتها ٤,٦٠ × ٤,٤٥م، مربعة الشكل، مدخلها بعرض ٦٠سم، سقفت بواسطة العقود إذ ما زال يظهر بقايا عقد واحد وتظهر حجارة القنوات التي ربما كانت تحمل المياه من عين جمام إلى الحميمة، يبدو أنه أعيد استخدامها في بناء العقود. أرضية الحجرة ترابية صلبة أنشئ فوقها تقسيمات بنائية صغيرة الحجم لتخزين المنتوجات الزراعية، حيث وجدت رحى لجرش الحبوب.

القسم الشمالي: الحجرة الرابعة مساحتها ٥,٥٠ × ٥,٠٠م، مستطيلة الشكل، مدخلها بعرض ٧٥سم، اتبع نظام العقود في التسقيف إذ عثر على بقايا عقد واحد، والأرضية ترابية صلبة، أما الحجرة الخامسة فمساحتها ٧,٥٠ × ٥,٨٠م، مدخلها بعرض ٦٥سم، سقفت بثلاثة عقود وغطيت الأرضية بالبلاطات الحجرية وذلك من خلال ظهور بلاطات

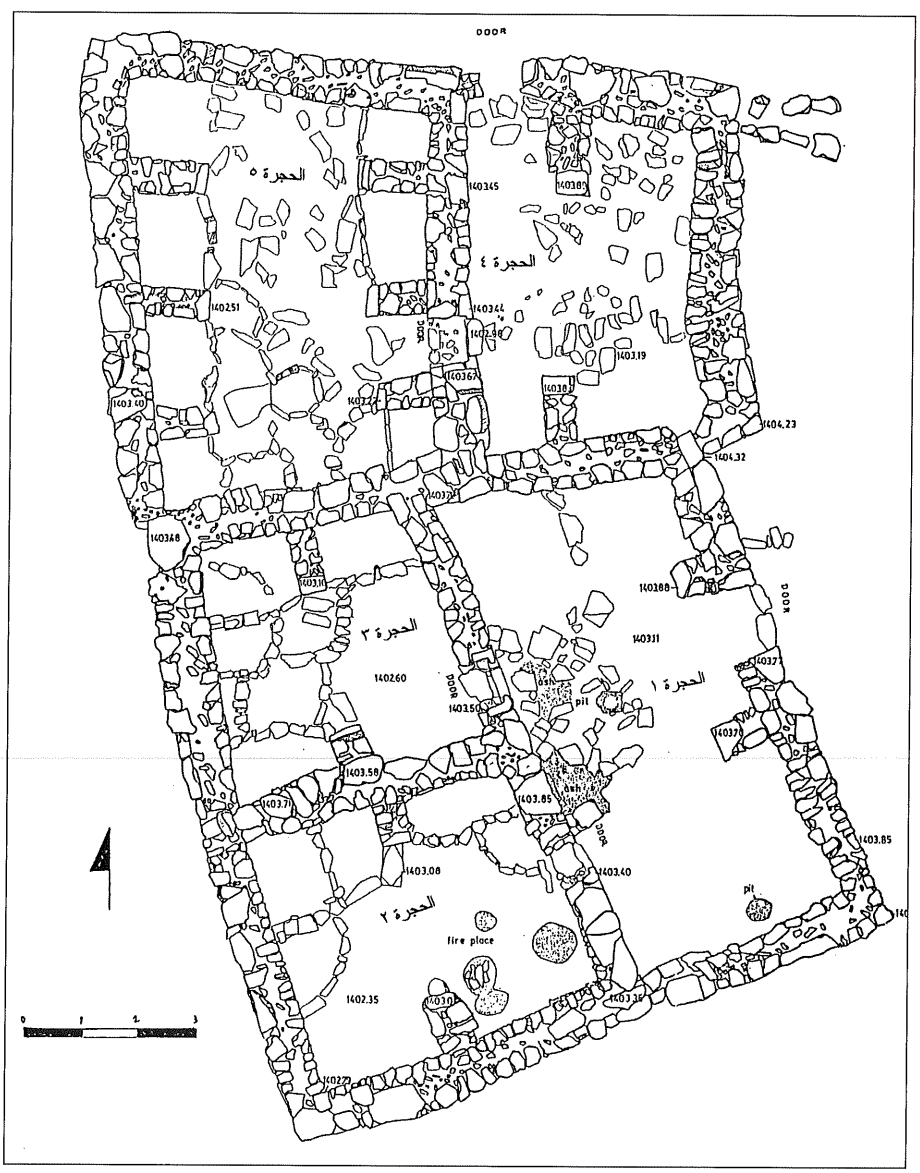

٢١. العمارة المكتشفة في موقع عين جمام /٢بقسميه الشمالي والجنوبي.

حجرية في بعض أجزاء الحجرة.

رابعا: موقع جمام /٣

يقع إلى الجنوب الشرقي من موقع جمام /٢ ويبعد عنه ١٠م، وهو بناء صغير مربع الشكل مساحته ٤,٦٠ × ٤,٣٠م، مربع الشكل، مدخله بعرض ١,٢٠م، اتبع نظام العقود في سقف الحجرة إذ لا يزال يظهر بقايا أحد العقود، والأرضية ترابية، استخدمت الحجرة في البداية برج مراقبة فهي تشرف على الوادي المؤدي إلى الحميمة وربما أعيد استخدامها لأغراض تخزين المنتوجات الزراعية (**الشكل ٢٢**) (الشامي ١٩٩٧: ٤١-٤٧).

خامسا: موقع أبو النسور

يقع إلى الجنوب من محافظة معان بـ٣٠كم، حيث تنتشر بقايا الموقع الأثري على جانبي الطريق الرئيسي المؤدي إلى مدينة العقبة (**الشكل ٢٣ و٢٤**)، تمتاز هذه المنطقة بكثرة الينابيع الأمر الذي يشير الى النشاط المائي في المنطقة مع كونها هضبة كلسية ترتفع عن مستوى سطح البحر

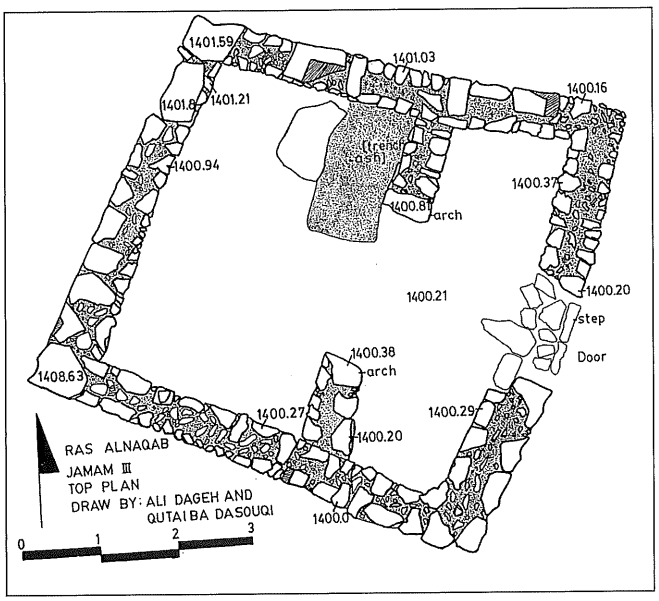

٢٢. موقع جمام /٣ بناء صغير مربع الشكل يقع إلى الجنوب الشرقي من موقع جمام /٢.

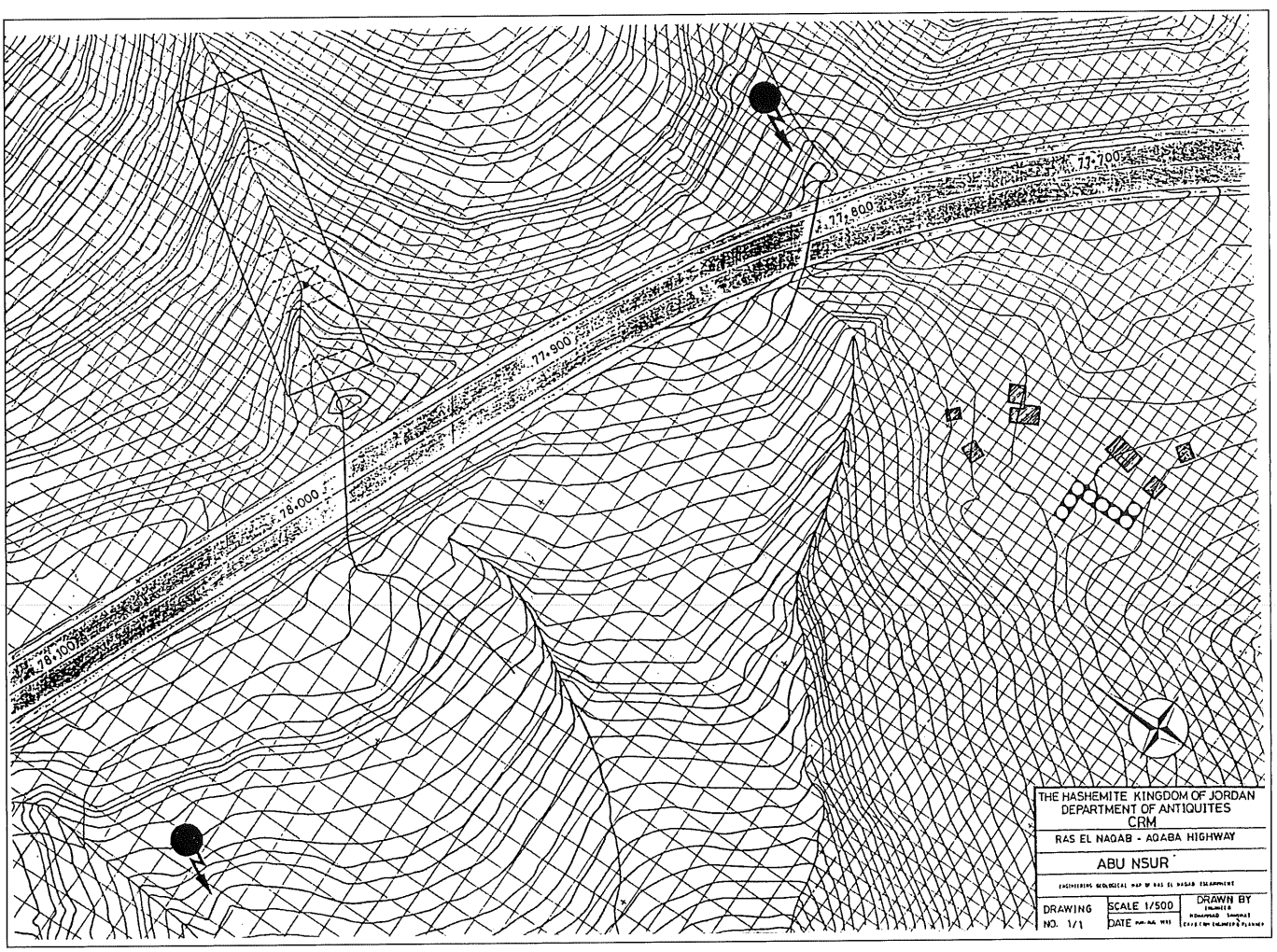

٢٣. مخطط طبوغرافي يظهر موقع أبو النسور بالقرب من الشارع الرئيسي بين جنوب معان والعقبة.

٢٤. موقع أبو النسور بالقرب من طريق رأس النقب – العقبة.

بما يزيد عن ١٤٠٠م، وطبيعة صخور الجبال المحيطة بالموقع من الجهتين الشمالية والشرقية كلسية، وتختلف درجة صلابتها من منطقة إلى أخرى، مما سهّل نشوء حضارة واستقرارها في المنطقة لتوفر العناصر الموجبة لذلك مثل المياه والتربة الصالحة للزراعة وحجارة البناء بالإضافة إلى ملائمة المناخ، وفي الجهة الجنوبية الغربية تمتد السهول التي تتخللها الأودية الصغيرة وجداول المياه التي تتشكل في فصل الشتاء بينما نجد أن موقع أبو النسور يشكل نقطة استراتيجية فهو يشرف على تلك السهول مما يفسر سبب إقامة هذا التجمع الاستيطاني في الموقع الذي توفر له المرتفعات الشرقية حماية وكذلك يشرف على المنخفضات الجنوبية والغربية بشكل مباشر وبخاصة وادي الحميمة.

لقد كشفت التنقيبات الأثرية في الموقع عن مخطط معماري يضم

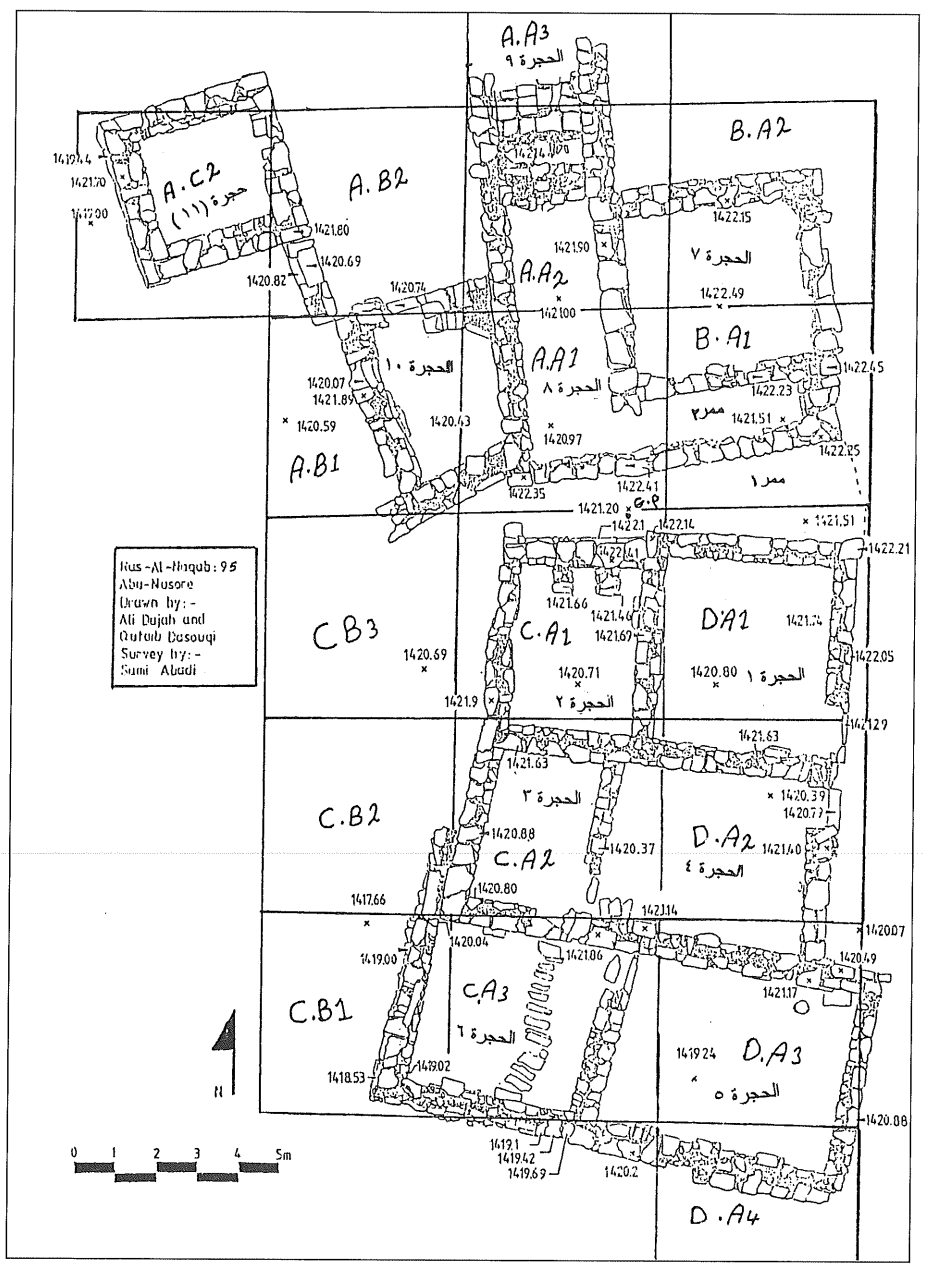

٢٥. العمارة المكتشفة في موقع أبو النسور بقسميه الشمالي والجنوبي.

عددا من الحجرات، فالقسم الجنوبي يشتمل على ست حجرات، أما القسم الشمالي فقد احتوى على ممرات وحجرات عددها خمس حجرات (**الشكل ٢٥**).

القسم الجنوبي: الحجرة الأولى مساحتها ٤,٣٠ × ٤,١٠م، مربعة الشكل، مدخلها بعرض ٧٥سم، سقفت بنظام العقود إذ وجد بقايا عقدين، الأرضية ترابية. الحجرة الثانية مساحتها ٤ × ٣م، مستطيلة الشكل مدخلها بعرض ٨٥ سم، واتبع نظام العقود في تسقيف الحجرة حيث وجد بقايا عقدين كانا يحملان السقف، لم يعثر على أرضية مبلطة بل أرضية ترابية.

أما الحجرة الثالثة فمساحتها ٥,٢٠ × ٤,٢٠م، مستطيلة الشكل واتبع نظام العقود في تسقيف الحجرة حيث وجد بقايا عقدين كانا يحملان السقف ووجدت الألواح الحجرية التي كانت تغلق المسافة بين العقدين وجدران الحجرة، لم يعثر على أرضية مبلطة بل أرضية ترابية. كما عثر على مسكوكة برونزية وبعض القطع الصدفية. أما الحجرة الرابعة فمساحتها ٣,٩٠ × ٢,٦٠م، مستطيلة الشكل مدخلها بعرض ٧٠سم، سقفت بنظام العقود إذ عثر على بقايا دعامة من العقد ما زالت في مكانها، الأرضية ترابية، استخدمت الحجرة للخزين. أما الحجرة الخامسة فمساحتها ٥,٦٥ × ٤,٢٠م، مستطيلة الشكل مدخلها بعرض ٨٥سم، سقفت الحجرة بثلاثة عقود، الأرضية ترابية عثر فيها على طابون قطره ٣٠سم متهدم كليا. أما الحجرة السادسة فمساحتها ٤,٢٥ × ٤,١٠م، مدخلها بعرض ٨٥سم، اتبع نظام العقود في التسقيف فوجد عقدان تقابلان من الحجارة المشذبة ووجدت على الأرضية ألواح حجرية لتغطية السقف، والأرضية ترابية.

القسم الشمالي: يفصل بين القسم الشمالي والقسم الجنوبي ممر طوله ٩م، بعرض متفاوت من الجهة الشرقية ٢,٤٠م، ومن الجهة الغربية ١م، ولا يوجد أي مدخل للحجرات يطل على الممر، أما الحجرة السابعة فمساحتها ٤,٢٠ × ٣,٨٥م، مربعة الشكل، لم يظهر بقايا للعقود التي كانت تحمل السقف ولكن وجد عدد كبير من الحجارة الساقطة بداخلها والتي يمكن أن تكون من حجارة العقود التي كانت تحمل السقف، الأرضية ترابية . وإلى الجنوب من هذه الحجرة وجد ممر يفضي للحجرة الثامنة مغلق من جميع الجهات مساحته٦,٨٠ × ١م. الحجرة الثامنة مساحتها ٥,٥ × ٢م، مستطيلة الشكل، مدخلها ترك بعرض جدارها الجنوبي المفتوح على الممر، لم يظهر بقايا للعقود التي كانت تحمل السقف ولكن وجد عدد كبير من الحجارة الساقطة بداخلها والتي يمكن أن تكون من حجارة العقود التي كانت تحمل السقف، الأرضية ترابية. أما الحجرة التاسعة فمساحتها ٣ × ٢م، مستطيلة الشكل، لم يكتمل العمل بها وهي تمثل خزان ماء، غطيت الجدران بطبقة من الملاط الكلسي، الأرضية مبلطة ببلاطات حجرية كبيرة الحجم مستوية مغطاة بطبقة من الملاط الكلسي لمنع تسرب المياه (**الشكل ٢٦**). أما الحجرة العاشرة فمساحتها ٣,٣٥ × ٢,٢٠م، مستطيلة الشكل، مدخلها بعرض ٨٠سم، لم يظهر بقايا للعقود التي كانت تحمل السقف، الأرضية ترابية

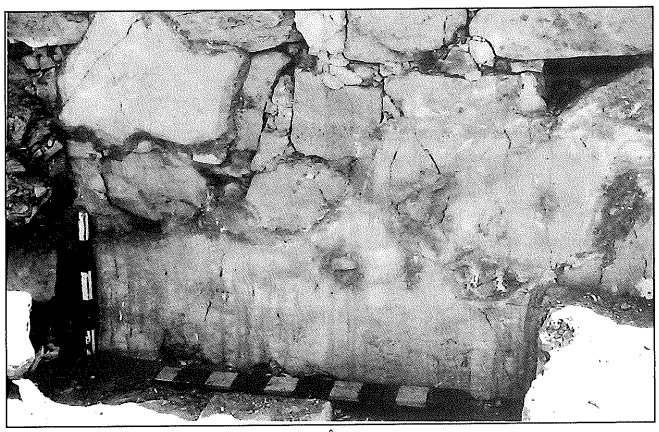

٢٦. الجدار الشمالي لخزان ماء في موقع أبو النسور غطيت الجدران بطبقة من الملاط الكلسي.

عثر فيها على بقايا قمح وشعير متفحم وقشور ثمار اللوز، ربما يكون هذا البناء قد استخدم كبرج مراقبة لأغراض عسكرية فهو يشرف على الوادي المؤدي إلى الحميمة (الشامي ١٩٩٧: ٤٨-٥٧).

مواد البناء

لقد تعددت مواد البناء المستعملة في تشييد هذه المباني وهي كما يلي

١- الحجر: وهو عنصر رئيسي استخدم بشقيه الكلسي والصواني، فالحجارة الكلسية كبيرة الحجم ومشذبة بإتقان استخدمت في بناء العقود والمداخل والأدراج والعتبات، وفي بناء الواجهة الخارجية للوحدة الثالثة في الحييض الحجرات ذوات الأرقام (١، ٢، ٣).

٢- الطين: استخدم لإغلاق المسافات بين حجارة المداميك الداخلية بإضافة الحصوات الحجرية، واستخدم الطين في بناء الطوابين، كما في الحييض وعين جمام وأبو النسور.

٣- الاسمنت: هو مزيج من المونة والصوان والرمل والرماد، كان يستخدم في تثبيت الحجارة عند بنائها وفي الأرضيات إذ تمتاز بصلابتها، مثال ذلك في الحييض الوحدة الثالثة الحجرة الأولى.

٤- الملاط: مزيج من المونة الكلسية بيضاء اللون خلطت بإضافة الرمل واستخدمت في تثبيت حجارة المداميك ببعضها.

٥- البلاستر أو الجص: استخدم في قصارة الجدران الداخلية وبعض الأرضيات خاصة الأحواض، استخدمت بكثرة في الحييض وأبو النسور.

٦- بلاطات فخارية مستطيلة الشكل (Roof Tiles): استعملت كعنصراً زخرفيا وجدت بكثرة داخل الحجرة الرابعة من الوحدة الثالثة في الحييض ربما كانت لتغطية السقف أو الجدران وتثبت بمادة الجير الأبيض.

٧- الخشب: كان يستخدم كبوابات للمداخل يظهر ذلك من وجود التجاويف على جانبي حجارة المدخل الذي كان الباب يثبت بواسطتها، ولم يعثر على أية بقايا من الأبواب الخشبية باستثناء المسامير الحديدية التي كانت تثبت الباب (الشامي ١٩٩٧: ٦٤-٦٥).

الأمثلة المشابهة للعمارة الرومانية المكتشفة

لقد تم مقارنة عمارة رأس النقب في كل من الحييض وأبو النسور وعين جمام مع موقع الزنطور داخل مدينة البتراء، فهو من المواقع المشابهة تماما من حيث المخطط والوظيفة السكنية مع الحييض وأبو النسور وعين جمام ٣/٢ فوجد في موقع الزنطور أرضيات مبلطة كتلك التي وجدت في الحييض. ويشترك موقعا أبو النسور والزنطور بوجود ساحات تقع في أبو النسور أمام الحجرتين (١٠-١١) (Stucky *et al.* 1995: fig.3)، ووجد في الزنطور أمثلة مشابهة للطوابين التي وجدت في كل من الحييض وأبو النسور وعين جمام /٢ بالإضافة لوجود تشابه في التقسيمات المعمارية لتلك المواقع مع موقع الزنطور أيضا من حيث عدد الحجرات والممرات (Stucky *et al.* 1992: fig. 1-2) ويرجع تاريخ البيوت السكنية في موقع الزنطور إلى بداية القرن الرابع الميلادي، حيث ضم البيت الأول الحجرات ذوات الأرقام (١،٢،٣،٦) والبيت الثاني ضم الحجرات (٥،٧،٨،٩،٢٧) وتشبه هذه المساحة والتقسيمات عمارة الحييض وأبو النسور وعين جمام وأرخت لنفس الفترة استنادا إلى الدليل الأثري من المسكوكات والمخطط المعماري في هذه المواقع المشابهة لعمارة الزنطور داخل مدينة البتراء (Bernhard *et al.* 1993: pl.5-6) وقد تم تبليط أغلب الأرضيات في موقع الحييض ببلاطات حجرية كلسية مشذبة وأحيانا كانت الأرضية تغطى بطبقة من البلاستر خاصة في الأحواض، حيث وجد مثال مشابه في الزنطور (Stucky *et al.*1995: pl. 1) وفي الحميمة وجد مثال مشابه للأرضيات الحجرية (Oleson *et al.* 1995: 322-327)، وعثر بالإضافة لذلك في الحميمة على أمثلة مشابهة للطوابين التي وجدت في الحييض وجمام/٢، أرخت في الحميمة للقرن الثالث (Oleson *et al.* 1993: 479).

الطريق الروماني في منطقة رأس النقب

بعد أن ضم الرومان المملكة النبطية عام ١٠٦م، أعيد بناء شبكة الطرق في مستهل حكم تراجان بين العاصمة العربية بصرى في حوران ومدينة العقبة، وانجز المشروع بين عامي ١١١م-١١٤م (Graf 1995: 1)، إن امتداد هذا الطريق بين بصرى والبتراء في جنوب الأردن يدل دلالة أكيدة على وجود علاقات بين مدن الولاية الرومانية الشرقية، فكانت القوافل التجارية تمر عبر البتراء إلى غزة وتستمر إلى الشاطئ المصري للاستفادة من البضاعة المصرية ثم تستمر شمالا إلى البحر المتوسط (Bowersock 1983: 156). يعد هذا الطريق من أهم العناصر الرئيسية فكان يصل إلى عدد من المدن الرومانية، فازدادت أهمية هذا الطريق في نهاية القرن الثالث الميلادي، وليس عجيبا أن تكون خريطة الطريق الروماني معروفة جيدا في القرن الرابع الميلادي الذي يظهر مبادئ خطوط الاتصالات من العقبة عبر صحراء النقب في فلسطين (Aharoni 1954: 9)، حملت حجارة المسافات عبارات تمجد اسم الحاكم واسم المقاطعة، واستخدم منها ٢٠٠من حجارة المسافات بين بصرى والبتراء تحتوي على كتابات يونانية تؤرخ هذا الطريق. ومن الملاحظ أن الجزء الجنوبي من الطريق يساوي ٣٠ ٪ من الطريق الكلي، وكشفت حجارة مسافات جديدة زاد عددها على الأربعين عمودا موجودة جنوب الولاية الرومانية من مسار الطريق بالإضافة للكشف عن طرق فرعية ونقاط تفتيش ومراقبة لهذه الطريق، وأرخت هذه الأعمدة ابتداء من عهد تراجان على عهد قسطنطين (Graf 1995: 1) ، لقد تم تتبع الطريق الروماني في جنوب الأردن وتحديدا في منطقة رأس النقب عند خربة طاسان، ثم إلى خربة سويمرة مرورا بخربة القرين وخربة القناة ثم خربة الصدقة باتجاه الطريق المؤدي إلى العقبة (**الشكل ٢**) (Musil 1926: 53)، تتضح أهمية هذه المنطقة من البتراء إلى العقبة في العصر الروماني، إذ أرخت حجارة المسافات في هذه المنطقة إلى القرون الثاني والثالث والرابع الميلادية، تعد الطريق المرصوف في هذا الجزء من أحسن الطرق الموجودة حتى الآن وهذا أدى إلى استمرار العمل على هذا الطريق في الفترة الرومانية المتأخرة والعصر البيزنطي، فطورت ممرات ومسارات فرعية أخرى لهذا الطريق لتتماشى مع حجم نمو الاستيطان البيزنطي في هذه المنطقة (Graf 1995: 12-17) لذلك فانتشار القلاع والحصون ونقاط المراقبة والاستراحات على هذا الطريق التي ارتبطت ببعضها بشبكة من الطرق وتنحدر باتجاه الجنوب من عاصمة المقاطعة بصرى حتى العقبة تعكس مدى النشاطات الاقتصادية بالتجارة والنشاطات العسكرية المتمثلة بحركة تمركز الجيوش على هذا الطريق (Parker 1976: 19).

أسباب هجران مواقع منطقة رأس النقب

أظهرت التنقيبات في هذه المواقع أن هناك طبقة ردم من التراب والحجارة بارتفاع ١م، ويعلوها حجارة العقود والجدران والألواح الحجرية التي كانت تشكل السقف، فالسؤال المفروض كيف دمرت هذه المواقع؟ وهل دمرت ثم هجرت؟ أم أنها هجرت ثم دمرت؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي الاستعانة بالدليل الأثري في هذه المواقع. لقد دمرت بفعل عدد من الزلازل التي ضربت المنطقة حيث سجلت شواهد زلزالية في مدينة البتراء في منتصف القرن الرابع الميلادي عام ٣٦٣م (Rassell 1980: 47) وربما أن هذا الزلزال لم يؤثر على منطقة رأس النقب مع وجود الدليل على حدوث زلزال فيظهر ذلك في موقع الحييض الوحدة السكنية الثالثة الحجرة الثانية الجدارين الشمالي والغربي حيث ينحرفان عن أساس البناء بشكل منحن ومتهدم (**الشكل ٢٧**) ويتضح أن هذه المواقع قد دمرت بفعل زلزال ضرب المنطقة ربما بعد القرن الخامس الميلادي، وللإجابة عن السؤال السابق نتناول الدليل الأثري من موقع الحييض الوحدة السكنية الثالثة الحجرة الخامسة، وأبو النسور الحجرة السادسة حيث وجدت العقود والألواح الحجرية ملقاة على الأرض كما هي بترتيب وانتظام (**الشكل ٢٨**)، مما يؤكد أن المواقع هجرت قبل حدوث زلزال، ولم تكن عملية انهيار المباني مفاجئة للسكان إذ لم يعثر على هياكل عظمية أسفل أنقاض المباني، فلماذا هجرت المنطقة؟ لابد من

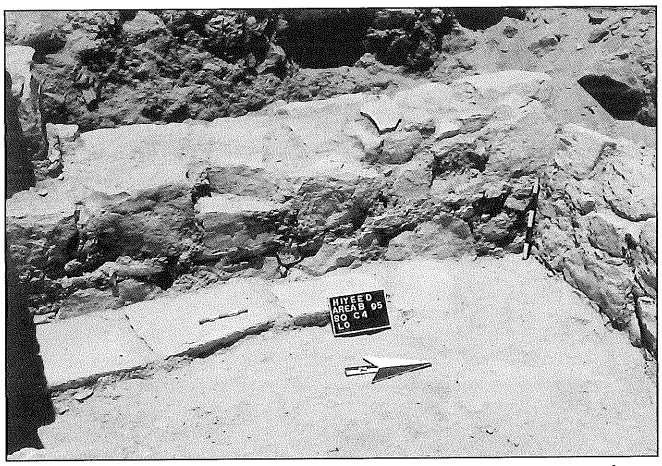

٢٧. أثر الزلزال في موقع الحييض الوحدة السكنية الثالثة الحجرة الثانية الجدارين الشمالي والغربي إذ ينحرفان عن أساس البناء بشكل منحني ومتهدم.

٢٨. أثر الزلزال في موقع أبو النسور الحجرة السادسة وجدت العقود والألواح الحجرية ملقاة على الأرض كما هي بترتيب وانتظام.

وجود دليل مقنع يعلل أسباب الهجران حيث يذكر Fiema إنه منذ القرن الأول قبل الميلاد وحتى بداية القرن الثالث الميلادي كان هناك تطور إداري واضح انعكس على جنوب الأردن من خلال السياسة والاقتصاد، مما أدى إلى ازدهار المواقع الواقعة على شبكة الطرق الرومانية ولكن في القرن الثالث الميلادي بدأ الاهتمام بالمنطقة يقل بالتدريج فانقطع وصول الإمدادات من العاصمة مما أدى إلى تخلي السكان عن مواقعهم شيئا فشيئا إلى أن هجرت تماما، ويؤكد أنه مع قدوم الفتح العربي الإسلامي للمنطقة كانت المواقع خالية من السكان (Fiema 1992: 328-330)

فلماذا كانت المنطقة خالية من السكان؟ وللإجابة على الأسئلة السابقة المتعلقة بأسباب هجر المواقع وخلوها من السكان، فإن الحروب البيزنطية – الفارسية كان لها أكبر الأثر في ذلك، ومنذ القرن الثالث الميلادي بدأت التجارة الرومانية عبر البحر الأحمر بالاضمحلال نتيجة ظهور المنافسة الفارسية، وكذلك سيطرة الفرس على اليمن والجزيرة العربية مما جعلهم يسيطرون على طرق التجارة (غوانمة ١٩٨٤: ٦٥)، وبالتالي دفعت هذه العوامل إلى التخلي عن المنطقة والبحث عن طرق تجارية أخرى، فأهملت هذه المواقع بالتدريج إذ كان أهل المنطقة يستفيدون من حركة التجارة المارة من أراضيهم وبعد أن تخلى البيزنطيون عن هذه الطريق غادر السكان المنطقة. وأختلف مع Fiema في أن المنطقة لم تكن مهمة بالنسبة للبيزنطيين وأنها هجرت لضعف وصول الإمدادات وإذا كان ذلك صحيحا فكيف تفقد منطقة حيوية أهميتها بهذه السهولة إذا علمنا مدى الأهمية التي أولاها الرومان ومن بعدهم البيزنطيون لهذه المنطقة.

المكتشفات والمعثورات

لقد عثر على مسكوكات برونزية يعود تاريخها إلى الفترة الرومانية المتأخرة بداية القرن الرابع الميلادي من خلال مسكوكات قسطنطين الأول ٣٠٧-٣٣٧م، وكنستانتيوس الثاني ٣٣٧-٣٦١م، وفالنتين ٣٧٥-٣٩٢م، وأركاديوس من ٣٨٣-٤٠٨م. تميزت المسكوكات بظهور خمس دور ضرب هي إنطاكية وسيساك وسالونيك وأرلس والإسكندرية (الشامي ١٩٩٩: ٤١-٤٥) (**الشكل ٢٩ و٣٠**). امتازت المكتشفات الفخارية بتنوعها فوجدت أسرجة فخارية كاملة يرجع تاريخها إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين أهمها سراج كامل يحتوي على أربع فتحات للفتيل وأسفله زخرفة لشكل يد بشرية بارزة (**الشكل ٣١**) .

وقوارير فخارية صغيرة (**الشكل ٣٢**)إضافة إلى الكسر الفخارية التي تمثل جرار وآنية طبخ وأباريق وزبادي وأحواض (**الشكل ٣٣-٣٧**).

الخلاصة

لقد تميز الاستيطان الروماني في منطقة رأس النقب بنمط سكني / مدني وعسكري، إذ اشتمل الاستيطان المدني أنماط زراعية ورعوية وتجارية / صناعية، صنفت مواقع رأس النقب إلى أنماط استيطانية مركبة نسبيا تعتمد في اقتصادها على موردين الأول رئيسي وآخر مساعد كما الحال في موقعي الحييض وأبو النسور، إذ تعتمد جميعها على الزراعة الرعوية والتجارة الداخلية بسبب قربها من الطريق الروماني. وتبدو بعض المواقع ذات نمط استيطاني مزدوج عسكري ومدني كما في أبو النسور وعين جمام إذ أقيمت فيها عمارة مدنية زراعية سكنية موقعها ذو طابع عسكري، بالإضافة إلى وجود برج مراقبة في كل منهما يشرفان على موقع الحميمة لحماية مصادر المياه في المنطقة مثل عين جمام، عين أبو النسور وعين الشراه.

لقد تعرضت المنطقة لعدد غير قليل من الزلازل التي أثرت على مواقع جنوبي معان فالزلازل التي حدثت في القرن الخامس أدت إلى تدميرها ويظهر ذلك في موقع الحييض وكذلك وجدت بقايا السقف في كافة المواقع ساقطة بانتظام بحيث يسهل إعادة بنائها، يشير ذلك أن هذه المواقع هجرت قبل تدميرها بفعل الزلازل.

أكدت قراءة المسكوكات تأريخ استيطان المنطقة في العصر الروماني إذ يعود تاريخها إلى الفترة الرومانية المتأخرة.

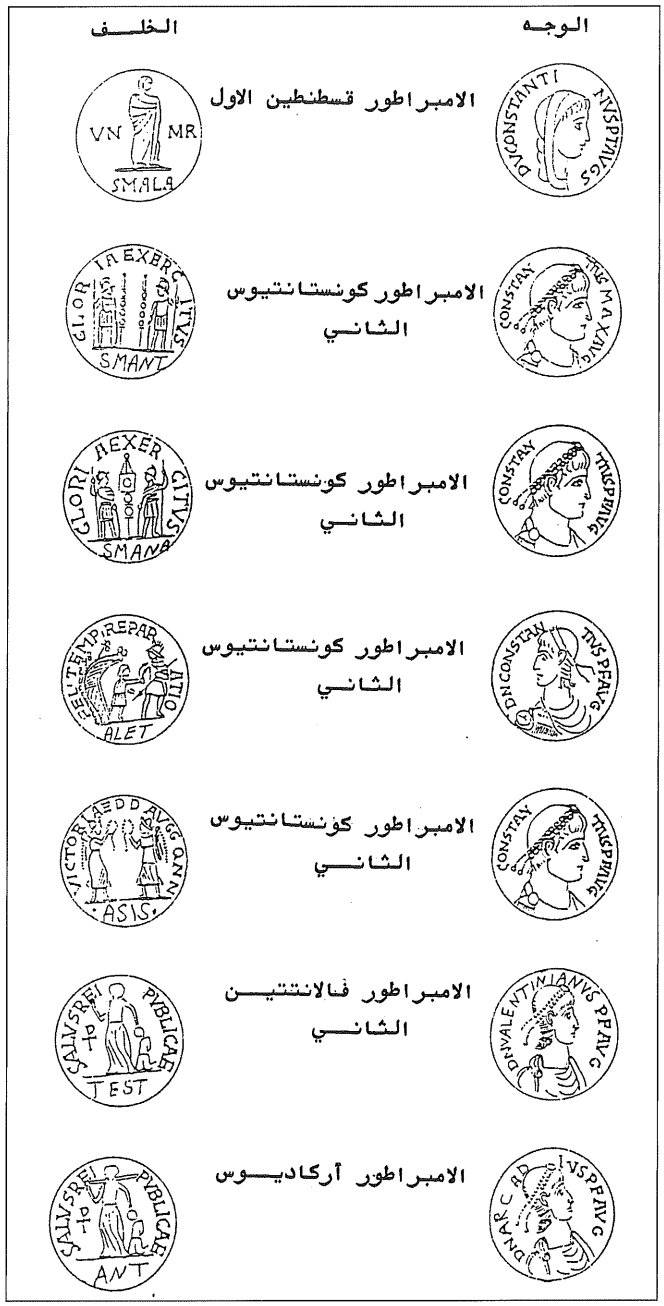

٢٩. رسم للمسكوكات البرونزية المكتشفة في موقع الحييض

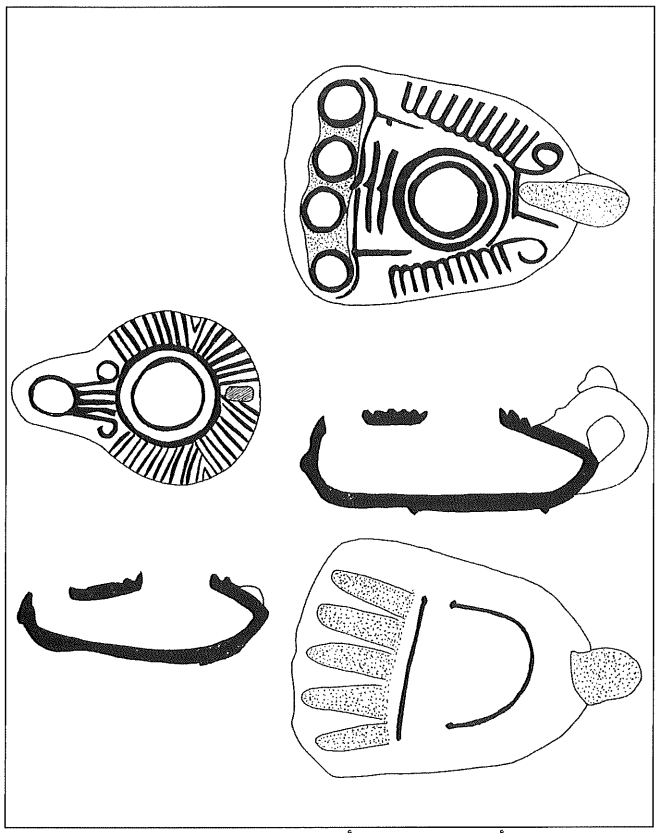

٣١. نوع متميز من الأسرجة الرومانية المتأخرة التي كشف عنها في خربة الحييض يحتوي على أربع فتحات للفتيل وأسفله زخرفة لشكل يد بشرية بارزة.

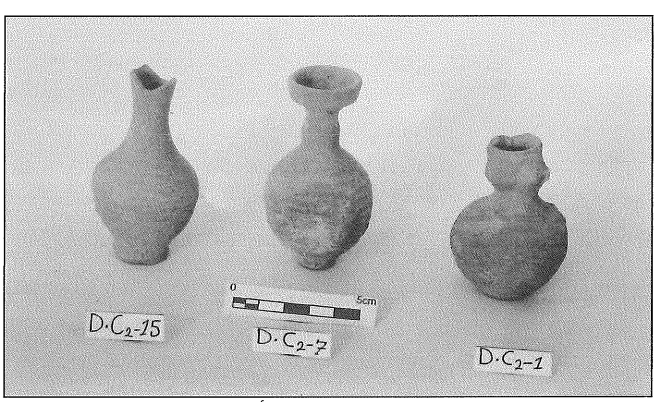

٣٢. قوارير فخارية صغيرة تعود للفترة الرومانية المتأخرة.

٣٠. المسكوكات البرونزية المكتشفة في موقع الحييض.

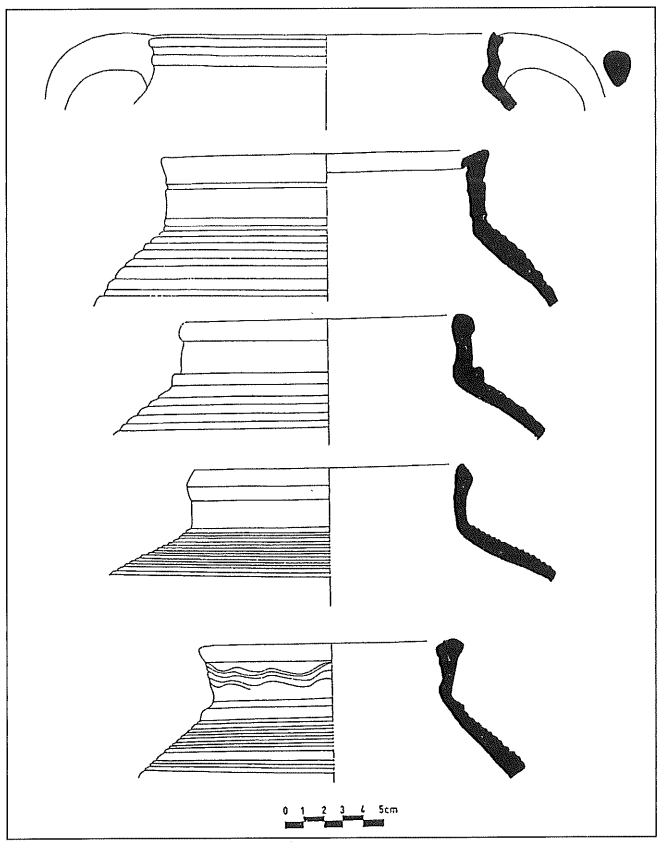

٣٣. جرار فخارية كبيرة للتخزين من العصر الروماني بأشكال وأحجام مختلفة.

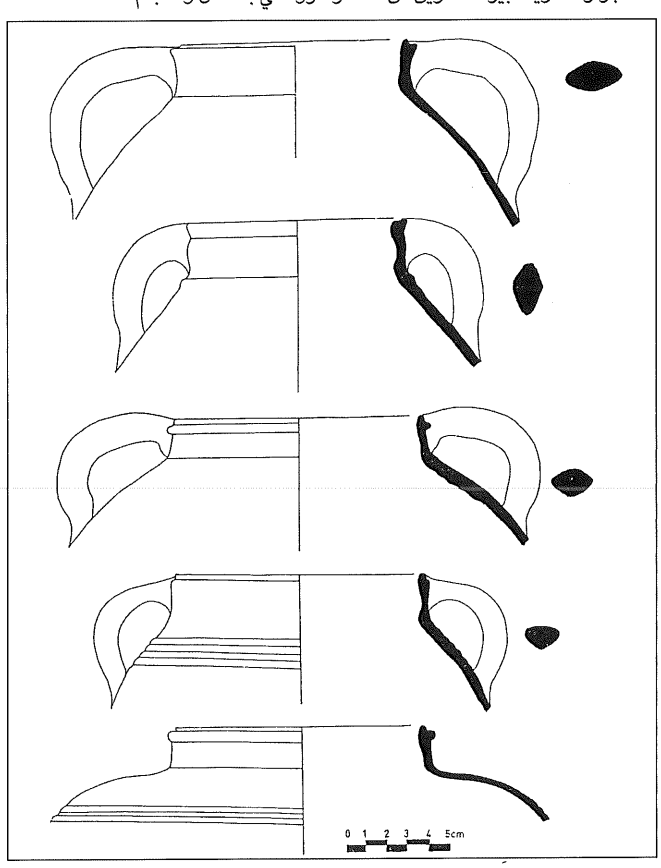

٣٤. قدور فخارية / آنية طبخ من العصر الروماني.

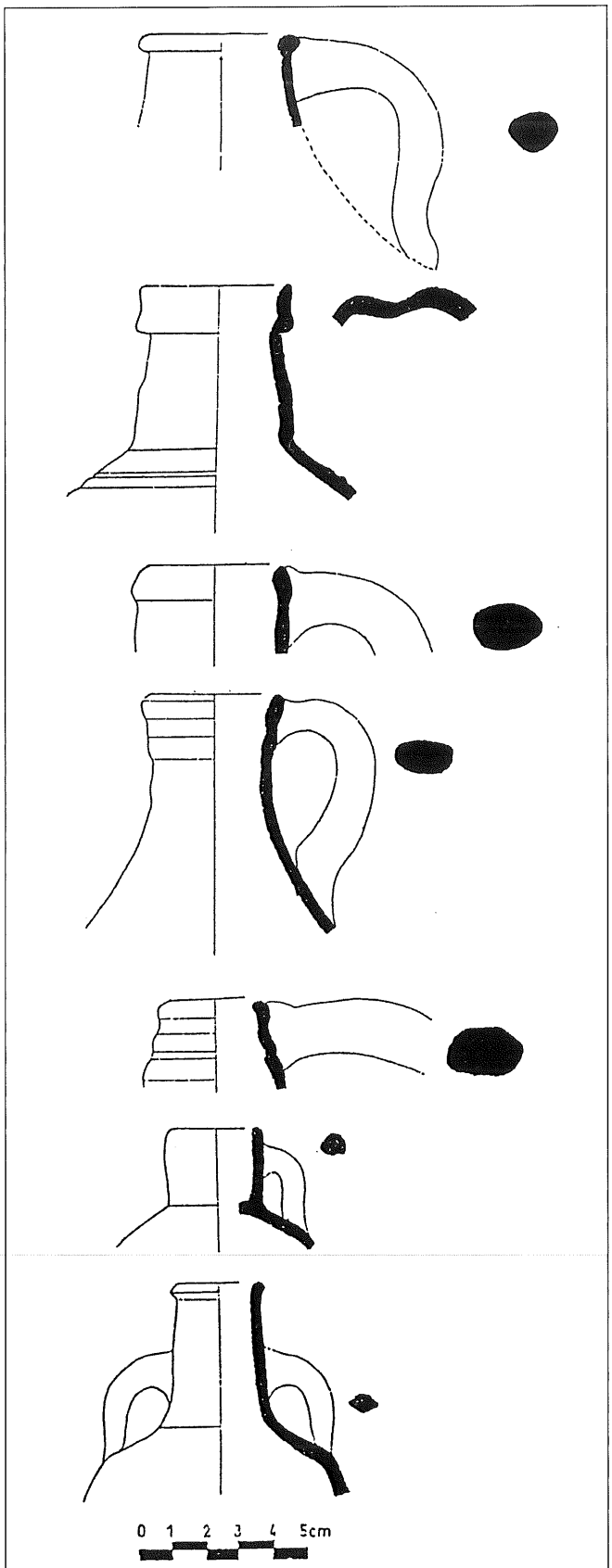

٣٥. أباريق فخارية بأحجام وأشكال مختلفة من العصر الروماني.

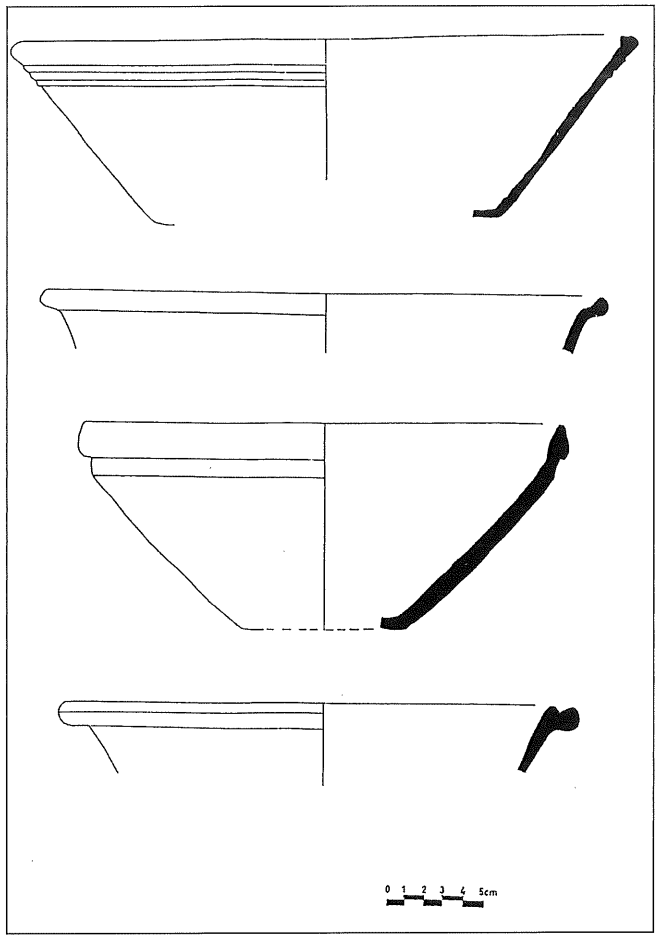

٣٦. زبادي فخارية متوسطة من العصر الروماني.

المراجع

زيادة، نقولا

١٩٨٦ التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب. المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الندوة الأولى. الجامعة الأردنية: ١٨٩-١٩٩.

١٩٨٩ المراكز الإدارية والعسكرية في بلاد الشام في العصر الأموي المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الندوة الثالثة. الجامعة الأردنية: ٣٠٣-٣١٤.

الشامي، أحمد جمعة

١٩٩٧ الاستقرار البيزنطي في منطقة رأس النقب - العقبة في ضوء نتائج المسح والحفريات الأثرية بين عامي ١٩٩٢-١٩٩٥. رسالة ماجستير: الجامعة الأردنية.

١٩٩٩ مسكوكات بيزنطية مبكرة من منطقة رأس النقب العقبة، **مجلة آثار العدد الثالث**: ٤١-٤٥.

عباس، إحسان

١٩٩٠ تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، لجنة تاريخ بلاد الشام. الجامعة الأردنية: عمان.

غلاب، محمد السيد

١٩٨٤ **التجارة في عصر ما قبل الإسلام في دراسات في تاريخ الجزيرة العربية**. عبد الرحمن الأنصاري الكتاب الثاني. مطابع جامعة الملك سعود: الرياض.

غوانمة، يوسف

١٩٨٤ **أيلة (العقبة) والبحر الأحمر**، ط١. اربد: دار هشام.

هاردنج، لانكستر

١٩٦٥ **آثـار الأردن**. ترجمة سليمان موسى. مجلة رسالة المعلم، العدديين ١-٢ ط ١: عمان.

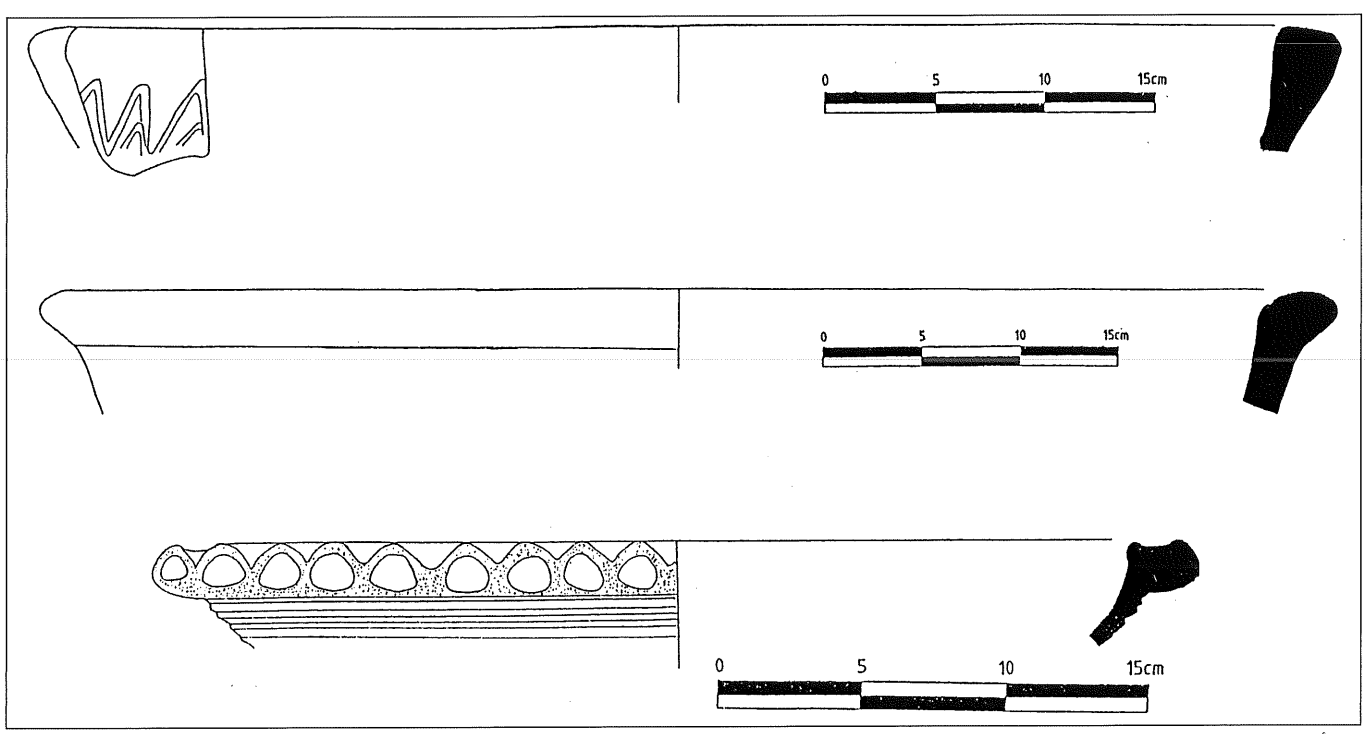

٣٧. أحواض فخارية كبيرة من العصر الروماني.

Aharoni, Y.
1954 The Roman Road to Aila (Elath). *IEJ* 4 No.1: 9-16.
Bernhard, K. and Stucky, R.A.
1993 Preliminary Report of the Swiss- Liechtenstein Excavations at Ez- Zantur in Petra 1992-1993. *ADAJ* 37: 417-425.
Bisheh, G., Farajat, S., Palumbo, G. and Waheeb, M.
1993 A Archaeological Rescue Survey Of The Ras An Naqb- aqaba High Way Alignment,1992. *ADAJ* 37: 119-131.
Borwersock, G.W.
1983 *Roman Arabia.* Harvard University press: Cambridge, Massachuestts.
Eadie, J.
1984 Humayma1983: The Regional Survey. *ADAJ* 23: 211-224.
Fiema, T.Z.
1992 The Islamic Conquest Of South Jordan A New Research Perspective. *ADAJ* 36: 325-331.
Frank, F.
1934 Aus der `Araba 1: Reiseberichte. *ZDPV* 57: 191-280.
Glueck, N.
1935 Exploration in Eastern Palestine II. *AASOR* 15: 65-80.
Graf, D.
1979 A Preliminary Report on A SURVY of Nabataean – Roman Military Site in Southern Jordan. *ADAJ* 23: 121-127.
1995 The Via Nova Traiana in Araba Petraea. Pp. 241-267 in J.H. Humphery (ed.), *The Roman and Byzantine Near East.* JRA, Supplementary Series No. 14m Ann Arbor, Michigan.
Hart, S. and Falkner, R.
1985 Preliminary Report on A Survey in Edom1984. *ADAJ* 29: 255-277.
Jobling, W.
1981 Preliminary Repot on the Archaeological Survey Between Ma`an And Aqaba. *ADAJ* 25: 105-112.
1982 Aqaba And Ma`an Survey. *ADAJ* 26: 199-209.
Musil, A.
1926 *The Northern Hegaz, Czeh Academy of Science and Arts.* American Geographical Society: New York.
Oleson, J.P.
1986 The Humayma Hydraulic Survey: Preliminary Report of the 1986 Season. *ADAJ* 30: 253-260.
Oleson, J.P., Amr, K., Schichk, R., Foote, R.M. and Csizmazai, S.
1993 The Humeima Excavation Project: Preliminary Report of The 1991-1992 Season. *ADAJ* 37: 461-502.
Oleson, J.P., Amr, K., Foote, R.M. and Schichk. R.
1995 The Humeima Excavation Project: Preliminary Report of the 1993 Season. *ADAJ* 39: 317-354.
Parker, S.T.
1976 Archaeological Survey of the Limes Arabcus. *ADAJ* 21: 19-31.
1985 *Romans and Saracens: A history of the Arabian Frontier.* The American Schools of Oriental Research, Winoua Lake: USA.
Russel, K.
1980 The Earthquake of May 19, AD 363. *BASOR* 238: 47-64.
Shahid, I.
1984 *Byzantium and the Arabs in Fourth Century* Dumbarton Oaks Research: Washington.
Stucky, R. *et al.*
1992 Swiss Liechtenstein Excavation at Ez- Zantur in Petra 1991. *ADAJ* 36: 175-192.
1995 Swiss-Liechtenstein Excavations at Ez- Zantur in Petra 1994. *ADAJ* 39: 297-315.
Waheeb, M.
1996 Archeological Excavation at Ras An-Naqa ,Aqaba Alignment:Preliminary Report (1995). *ADAJ* 40: 339-348.

جهاد اسماعيل هارون
دائرة الآثار العامة

جهاد اسماعيل هارون

العمونيون: استغلال الأراضي في العصر الحديدي الثاني

مقدمة

لقد سطر العمونيين ذكراهم في الكثير من المخلفات التي تركوها لنا والتي تمثل بعضا من أصولهم، لغتهم، حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فالغموض لا يزال يكتنف بعض هذه المخلفات. فقد ورد ذكر العمونيين في التوراة بحوالي (١٠٦) موضع (Block 1984: 198) فتحدثت عن أصولهم وحروبهم وأسماء ملوكهم، فدلالة اسم بني عمون الواردة في التوارة هي أثنية ولكنها تمثل دليلا واضحا على دور العمونيين الحضاري في إثبات وجودهم (المومني ١٩٩٦: ١٠). في حين جاءت المصادر الآشورية – البابلية لتلقي بعض الضوء خاصة منذ حكم شلمناصر الثالث ٨٥٨–٨٢٤ ق.م (أبوطالب ١٩٧٨: ٨٠)، إضافة إلى الكتابات العمونية وهي قليلة نوعا ما لكنها سلطت الضوء على تاريخ العمونين.

فالمصادر التاريخية اختلفت حول أصولهم ولكن الشواهد تؤكد بداية استقرارهم حول منابع نهر الزرقاء بعد قدومهم من شمال سوريا هربا من الاضطرابات التي حدثت خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م، واختيارهم لمنطقة حوض نهر الزرقاء هو دليل على وجود تجارب زراعية وتجارية تمتعوا بها من قبل (Grimal 1995: 222).

جغرافية أراضي المملكة العمونية

إن الأراضي التي امتدت عليها المملكة العمونية كانت متميزة بتنوعها الجغرافي والمناخي كالجبال والوديان والسهول وحتى أجزاء من الأغوار. فحدودها من نهر الزرقاء شمالا وحتى أطراف مأدبا جنوبا إلى تل المزار غربا. إن حدود المملكة العمونية لا زالت غير معروفة فبعض الباحثين يعتقدون بأن الحد الجنوبي وصل إلى منطقة الوالة (Herr 1999: 221) فهي تحوي أراض خصبة كانت مدعاة لاستقطاب العمران (البحيري ١٩٩٤: ٦١) إضافة إلى وفرة الأمطار فقد جرت المياه في بعض أودية المنطقة وأكبرها نهر الزرقاء (البحيري ١٩٩٤: ٦٢). أما عن الحالة المناخية فقد كانت شبه مستقرة منذ العصر الحديدي، فنسب هطول الأمطار تتراوح ما بين ٣٠٠ – ٥٠٠ملم (Herr 1997: 354).

أما التربة الأكثر انتشارا في المملكة العمونية فهي تربة البحر المتوسط الحمراء (Terra Rosa) وهي تتميز بقدرتها على الاحتفاظ بالمياه والرطوبة لأطول فترة ممكنة وتصلح للزراعة (LaBianca 1986: 57).

الحالة السياسية والعسكرية خلال العصر الحديدي الثاني

إن سيطرة الدولة الآشورية وبسط نفوذها على مناطق شاسعة رغبة منها في الحفاظ على محاور المواصلات والطرق التجارية، إضافة لانقسام مملكة إسرائيل الموحدة والتي كانت تشكل عاملا لعدم الاستقرار في المنطقة، فرض هذا نوعا من الاستقرار السياسي والعسكري خلال العصر الحديدي الثاني، فدان ميزان القوى للآشوريين في هذه الفترة، فجاء الازدهار الاقتصادي المربوط دائما بالاستقرار السياسي، وأبلغ دليل على هذا الازدهار هو دفع المملكة العمونية ٢ مينا من الذهب كضريبة للدولة الآشورية (Oppenhiem 1974: 301).

فاستغل العمونيين هذه الحالة المتميزة باتجاهات مختلفة مجملة بما يلي:

- زيادة رقعة الأراضي الزراعية.
- إقامة المنشآت العمائرية بكافة أشكالها.
- الاهتمام بزيادة الإنتاج الزراعي وتربية المواشي.
- زيادة النشاط التجاري.

استغلال الأرضي

جاء استغلال الأراضي في مملكة عمون بأشكال متعددة منها الاستغلال الزراعي والسكني والتجاري والمائي.

فالنمو المفاجئ في أعداد السكان والازدهار الذي شهدته فترة العصر الحديدي الثاني (LaBianca 1990: 137) قد رافقه ازدياد في المنشآت المعمارية بدءا من ربة عمون المدينة الملكية التي ورد ذكرها في التوراة (صموئيل الثاني ٢٦:١٢–٢٧) ومرورا بما عرف بالأبراج العمونية الدائرية والأبنية المربعة والتي أختلف العلماء بتأريخها، فمنهم من أعادها إلى العصور الحجرية (Mackenzie 1911: 38) والآخر إلى العصر الروماني (Condor 1889: 111-112). في حين أظهرت التنقيبات الأثرية التي جرت في عدد من مواقع هذا النمط المعماري أن إطارها الزمني يمتد من نهاية العصر الحديدي الأول إلى العصر الحديدي الثاني (Younker 1989: 196; Yassine 1988: 14-17) و(النجار ١٩٩٢: ٤٢٠).

وجاء الاختلاف الثاني حول ماهية استخدام هذه الأبراج وهل هي عسكرية دفاعية أم سكنية زراعية؟ ولكن الاكتشافات الحديثة في

خلدا (النجار ١٩٩٢: ٤٢٠) وجبل الزهور (عجاج ١٩٩٣: ٥) والمبرك (الزبن ٢٠٠٢: ١٨) (Younker 1989: 196) جاءت لتؤكد على أن هذه الأبراج تمثل نمطا معماريا ذو استخدامات زراعية وسكنية وصناعية مثل أبو نصير (Abu Shmais 2003: 8) وهذا لا يمنع من وجود استخدام عسكري، إضافة إلى وجود بعض الأبراج في مواقع تفتقر إلى الأهمية الإستراتيجية مثل خربة بدران ورجم الحنو الغربي (Kletter 1991: 39) وحتى مباني تل العميري مقامة على منحدرات وليس لها أهمية استراتيجية (Younker 1989: 195) فقد استطاع العمونيين استغلال الأرض لإقامة هذه المنشآت بشكل متوازن وجاء الاختيار بأشكال متعددة كإقامة المباني بجانب الأراضي الزراعية وعلى التلال والمنحدرات وعلى أطراف الوديان كصوامع لتخزين المنتوجات الزراعية (النجار ١٩٩٢: ٤١٢) أي على الأراضي الأقل خصوبة مثل (خلدا وابونصير والزهور والمبرك ورجم الملفوف الشمالي) وأحيانا في حالات نادرة جداً في وسط الأراضي الزراعية مثل خربة المضمار في سهل البقعة، ولكن كل هذا فرضته ضرورة تنظيم المجتمع الزراعي (MacGovern1992:180) لان سهل البقعة منطقة واسعة ومفتوحة من عدة جهات كمباني تل العميري (Herr 1999: 233) ومن أمثلة إقامة العمائر على محاور المواصلات والطرق التجارية مستوطنة أم الدنانير وتقع على الطريق الذي يتجه نحو الغرب إلى الأغوار (MacDonald 1994:58) وتل صافوط (Glueck 1939:168) وخربة الحجار ذات الموقع المميز على الخط التجاري القادم من الجنوب إلى الشمال (Thompson 2000: 483).

إن طريقة بناء هذه العمائر تعطينا دلائل واضحة على الكيفية التي تعامل بها العمونيين مع البيئة المحيطة فاستخدموا الحجارة المتوفرة كالحجارة الصوانية الضخمة وغير المشذبة المتوفرة على السطح بكثرة في كل من أم صويوينية (الزهور) ورجم الملفوف الشمالي وخلدا، والحجارة الكلسية مثل قصر الوسيه (Glueck 1939: 156)، أو صوانية وكلسية معاً مثل مبنى خلدا الشرقي (المومني ١٩٩٦: ٧٧)، إضافة إلى استخدام الصخر الطبيعي كأساسات لهذه المباني (MacDonald 1994: 58).

كما أقام العمونيون المباني بالقرب من مصادر المياه مثل مدينة المياه العمونية التي أشارت لها التوراة (صموئيل الثاني ٢٦:١٢-٢٧) وخربة الحجار التي تشرف على التقاء سيل حسبان مع مياه الكفرين (Thompson 2000: 483).

ومجمل القول إن الأبراج العمونية والبالغ عددها ١٣٠موقعا (المومني ١٩٩٦: ٩٣) تظهر كوحدات سكنية منتجة وتتمتع بنوع من الاكتفاء الذاتي ضمن نمط سكني يوازن ما بين الأرض ومتطلبات الإنسان الأساسية.

استغلال الأراضي للزراعة

"الكرم والحدائق وقناة الماء والآبار – فليفرح ويبتهج بأيام عديدة وسنين مديدة" كلمات نقشت على قارورة تل سيران (Zayadine and Thompson1989: 170, 1973: 129-130) لتعبر عن الاستغلال الأمثل للمياه ومهارتهم في الزراعة وهذا ربما عائد لأصولهم الشمالية (Grimal 1995: 222-250). حيث كانت الزراعة تقوم على استغلال منابع المياه والأراضي الصالحة للزراعة وإزالة بعض الأجزاء من الغابات لزيادة رقعة الأراضي الزراعية، فأراضي المملكة العمونية واستنادا إلى نوعية التربة ونسبة هطول الأمطار قد زادت من نسبة الأراضي الصالحة للزراعة، إضافة إلى الغابات الحرجية مثل أشجار الصنوبر والبلوط التي كانت تغطي بعض أجزاء الأراضي العمونية (Geraty 1989: 195).

لقد عرف الإنسان القديم عملية الاندماج ما بين البيئة المحيطة واحتياجاته (Geraty 1989: 40) وأثبتت الدراسات الأثرية على أن الإنسان العموني لم يقم بإزالة الغابات الحرجية لزرع الأشجار المثمرة بل على العكس زرع الأشجار المثمرة داخل الغابات الحرجية (Geraty 1989: 37)، فهذا استغلال بيئي متميز.

كما استغل العمونيون الأراضي المنحدرة والوديان بإقامة المصاطب الزراعية التي تحافظ على المياه والتربة من الانجراف (Herr 1997: 354) فانتشرت المصاطب الزراعية بشكل واسع في العصر الحديدي الثاني (Christopherson 1996: 6).

كما انتشرت زراعة المنحدرات والجبال بالأشجار المثمرة مثل العنب والزيتون، فقد أثبتت الدراسات الأثرية على أن زراعة الزيتون كانت مزدهرة في العصر الحديدي الثاني حيث بلغت نسبة بقايا الزيتون ٧٥٪ من مجمل البقايا النباتية التي عثر عليها في محيط منطقة حسبان (LaBianca 1990: 146) أما العنب فقد كان إنتاجه أكثر من حاجة المجتمع المحلي وكان يصدر على شكل نبيذ (Geraty 1989: 196) وفي نهاية العصر الحديدي الثاني دفعت المملكة العمونية الضريبة المفروضة عليها إلى البلاط الفارسي على شكل نبيذ (Herr 1999: 233)، وفي خلدا عثر على كميات من بذور العنب والزيتون (النجار ١٩٩٢: ٤١٤).

كما عثر على العديد من المعاصر في كل من خلدا (النجار ١٩٩٢: ٤١٨) وتل العميري وحسبان، إضافة إلى انتشار جرار النبيذ المختومة والمعدة للتصدير (Herr 1999: 232).

أما المناطق السهلية فقد زرعت بالحبوب مثل العدس والقمح والشعير (Geraty1989: 196) .

الإنتاج الحيواني: إن الدراسات العلمية التي تمت في حسبان والعميري ومحيطيهما على مخلفات العظام الحيوانية، دلت على وجود عدد كبير من الحيوانات الأليفة والماشية (LaBinca 1990: 145; Geraty 1989: 197) كما عثر أيضا على عدد كبير من ثقالات المغازل في مواقع العصر الحديدي الثاني (Abu-Shmais 2003: 6) مما يظهر ازدهار صناعة النسيج في هذه

الفترة فمادة الصوف متوفرة وأدوات النسج موجودة أيضا.

كما أقام العمونيين الآبار والقنوات وقد ورد ذكر مدينة عمون المائية في التوراة (صموئيل الثاني ٢٦:١٢-٢٧) وأقاموا السدود لحجز المياه في كل من منطقة العميري (LaBinca 1990: 149) وجبل القلعة حيث عثر على الكثير من أبار جمع المياه.

استغلال الطرق التجارية

لقد ساعد موقع المملكة العمونية الاستراتيجي على الطريق التجاري المميز (Herr 1999: 224) على جعلها دولة قوية فاستغلت الأرضي المحيطة بالطريق التجاري من خلال إقامة المباني كمحطات للقوافل على محاور الطرق التجارية مثل تل صافوط (Glueck 1939: 163) وأم الدنانير وتل سيران وجبل الزهور، كما اقيمت المنشآت الصناعية مثل أبو نصير بالقرب من الطريق التجاري القادم من الجنوب إلى الشمال (Abu Shmais 2003: 8)، إضافة إلى تخصيص جزء من المباني لخزن المنتجات الزراعية مثل زيت الزيتون والحبوب مثل موقع المبرك (الزبن ٢٠٠٢: ١٨).

الخلاصة

إن التوازن البيئي الذي اعتمده الإنسان العموني كان متميزا من خلال عدم إزالة الغابات الحرجية واستغلال الأرض الزراعية وإقامة المباني المعمارية على الأراضي الأقل خصوبة والمصاطب الزراعية على المنحدرات الجبلية وزراعة المحاصيل الزراعية الاستراتيجية المربحة مثل الزيتون والعنب وإقامة المعاصر لاستكمال عملية الإنتاج، واستغلال المصادر المائية وبناء السدود والآبار والقنوات، كذلك استغلال الطريق التجاري وإقامة المباني الزراعية والصناعية ومحطات للقوافل.

أحسنت المملكة العمونية استغلال مواردها الطبيعية من خلال الزراعة والتجارة فجنت الكثير من الأموال ويظهر ذلك من مقدار الضريبة التي كانت تدفعه للدولة الآشورية حتى أنها دفعت ٢ مينا من الذهب في حين دفعت جارتها المملكة المؤابية ١ مينا من الذهب.

المراجع

أبو طالب، محمود

١٩٧٨ **آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة.** أضواء جديدة ١٩٥٢-١٩٧٧، عمان : وزارة الثقافة والشباب.

البحيري، صلاح الدين

١٩٩٤ **الأردن، دراسة جغرافية.** منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان.

الزبن، إبراهيم

٢٠٠٢ نتائج التنقيب الأثري في المبرك. **حولية دائرة الآثار العامة** ٤٦: ١٤-١٨.

عجاج، احمد وهارون، جهاد

١٩٩٤ تقرير أولي عن نتائج التنقيب الأثري في أم صويوينية، تقرير غير منشور. قسم المعلومات والتوثيق الأثري.

المومني، احمد

١٩٩٦ **العمونيون.** رسالة ماجستير غير منشورة: الجامعة الأردنية .

النجار، محمد

١٩٩٢ تقرير أولي حول نتائج التنقيبات الأثرية في خلدا / عمان. **حولية دائرة الآثار العامة** ٣٦: ٤٠٩-٤٢٠.

Abu-Shmais, A.

2003 A new Discovery in Ammonite Site Rujom Abu Nusair. The 2nd International Conference on Science & Technology in Archaeology, The Hashemite Univ: Jordan.

Condor, M.C.R.

1889 The Survey of the Eastern Palestine, Memoirs of the Topography, Orography, Archaeology, etc, the Adwan Country. Committee of the Palestine Exploration Fund: London.

Christopherson, G.

1996 GIS & Archaeology Using ARC/INFO to Increase Our Understanding of Ancient Jordan. ARC/INFO user Conference.

Glueck, N.

1939 *Exploration in Eastern Palestine,* III. AASOR 18-19. New Haven.

1970. The Other Side of the Jordan. *AASOR*. USA: Cambridge.

Herr, L.

1997. *Madaba Plains Project.* USA: Andrews University.

1999 *The Ammonite in the Late Iron Age & Persian Period, Ancient Ammon.* edit by Burton MacDonald, Netherlands

Geraty, L.

1989 *Madaba Plains Project.* USA: Andrews University.

Grimal, N

1995 *A History of Ancient Egypt.* Trans. By Ian Shaw: Blackwell, Oxford-UK and Cambridge –USA.

Kilter, R.

1991 The Rujm El-Malfuf Buildings and the Assyrian Vassal State of Ammon. *BASOR* 284: 33-50.

LaBianca, O.

1990 *Sedentarization & Nomadization Hesban I.* Andrews University: USA

1986 *Environmental Foundations, Hesban 2.* USA: Andrews University.

London, G.

1997 *Ancient Ammonite & Modern Arabs.* USA: Andrews Univ..

MacDonald, B. and Younker, R.

1999 *Ancient Ammonite.* Koninklijke: Netherlands.

Mackenzie, D.
1911 The Megalithic Monuments of Rabbath Ammon at Amman. *PEF*1: 1-40.
McGovern, P.
1989 Settlement Patterns of the Bronze and Iron Ages in the Greater Amman Area. *SHAJ* 4: 179-183.
Thompson, H.O. and Zayadine, F.
1973 The Tell Siran Inscription. *BASOR* 212: 5-11.
Thompson, H.
2000 *Some Towers in Jordan, the Archaeology of Jordan and Beyond.* USA.
Younker, R.W.
1989 Towers in the region Surrounding Tell el-Umeiri. *MPP* 1: 195-198.